السبت 15 آب 2020
العدد 4125 السنة الخامسة عشرة
Samedi 15 Août 2020 no 4125 15ème année

24 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

● أليف شافاك
اسطنبول الأخرى

● عودة إلى مهدي عامل: **عن الدولة الطائفية و... ولادتنا المزيفة**

هيك «يطلب» رئيسَ وزراء يحظى بدعم شعبيّ: اللعبة انتهت! [3]

نصر الله: لحكومة سياسية [2]

«إسرائيل» تكذّب ابن زايد
في انتظار بقية العرب!

[12 ـ 13]

تحتجب «الأخبار» يوم الاثنين لمناسبة عيد انتقال السيدة العذراء

(أ ف ب)

قضية اليوم

نصر الله: لحكومة سياسية مع اختصاصيين

يمكن تلخيص السقف السياسي الداخلي الذي حدّده حزب الله امس، بالآتي: منع الدولة من السقوط ومنع الانجرار نحو حرب أهلية، ورفض الحكومة «الحيادية». هذه هي «زُبدة» خطاب الأمين العام لحزب الله، السيّد حسن نصر الله، أمس، والذي أعلن انّ «الحزب» لن يقبل إلا بحكومة تضم أوسع تمثيل سياسي وشعبي، مؤلفة من سياسيين واختصاصيين، أولوياتها التحقيق والمحاسبة في انفجار المرفأ، وإجراء إصلاحات، ومعالجة الوضع الاقتصادي والمعيشي

نصر الله: قوى سياسية لبنانية عملت على وضع لبنان على حافة الحرب الاهلية (هيثم الموسوي)

انظمة التطبيع خدمٌ عند اميركا

تزامنت كلمة الأمين العام لحزب الله، السيّد حسن نصر الله بعد يوم من الإعلان عن اتفاقية «السلام» بين دولة الإمارات وكيان العدّو. «لم نُفاجأ بالقرار»، قال نصر الله، واضعاً إيّاه في إطار «حاجة الرئيس دونالد ترامب إلى إنجاز في السياسة الخارجية، فهو في أضعف لحظاته الانتخابية». فالعلاقات بين الفريقين (الإمارات وكيان العدو) قائمة منذ سنوات طويلة، والإعلان عنها لم يكشف سرّاً. إلّا أنّ توقيت الإعلان «يؤكّد أنّ بعض الأنظمة العربية خَدَمٌ عند الإدارة الأميركية» مُتوقعاً أن «يُقدم عدد من الأنظمة العربية على توقيع اتفاقات سلام»، حتى إتمام الانتخابات الرئاسية الأميركية. وفي هذا الإطار، يتبيّن، بحسب نصر الله، أنّ الهجوم الخليجي - إعلامياً وسياسياً - على إيران وتكبير خطرها مُجرّد «قنابل دخانية من أجل إتمام الصلح مع إسرائيل. كثيرٌ من هؤلاء الذين يتحدثون عن إيران كعدّو، يتصلون بها بالخفاء لإقامة علاقات معها».

الخطوة الإماراتية «مُدانة ومرفوضة. هي خيانة للعروبة والأمة والشعب الفلسطيني. خطوة غادرة وطعن في الظهر». ولكن توجّه نصر الله إلى الشعب الفلسطيني المغدور، والشعوب العربية وحركات المقاومة، بأنّه «يجب أن نغضب ولكن لا نحزن، فسقوط الأقنعة أمر جيّد. جبهة الحقّ عندما يُقدّر لها أن تقترب من الانتصار، عليها أن تُلقي بأثقالها، وأن يخرج منها المنافقون والكذّابون والطاعنون في الظهر، فهذا يجعل جبهة المقاومة تعرف صديقها من عدُوها».

انفجار مرفأ بيروت كان العلّة التي تسلّحت بها دولٌ غربية لتنفّذ إلى لبنان. لم يهدأ بعد الاستغلال السياسي للحادثة، وتوظيف تبعاتها لتحصيل مكاسب في الداخل والإقليم. واحدة من الروايات التي انتشرت، أنّ التفجير سببه عمل تخريبي تقف وراءه «إسرائيل»، وأنّ حزب الله يدّعي عدم معرفته بما حدث داخل المرفأ وما حصل، لأنّه غير قادر على الردّ على العدوان، لو حصل. أطلّ أمس الأمين العام لحزب الله، السيّد حسن نصر الله حازماً: «من الآن أقول لكم، حزب الله الذي لا يُمكن أن يتغافل عن قتل مُجاهد واحد من مُجاهديه، ويوقف الجيش الإسرائيلي أسابيع على الحدود، لا يُمكن أن يسكت عن جريمة كُبرى (تفجير المرفأ)، إذا كانت إسرائيل قد ارتكبتها، وهي ستدفع ثمناً بحجم الجريمة»، مُعتبراً أنّه لو ثبت الدور الإسرائيلي، فيجب أن لا يقتصر الجواب على حزب الله، «بل كلّ مؤسسات الدولة وكلّ الشعب يجب أن يعلن موقفه». أعاد نصر الله التأكيد أنّ «الحزب» لا يملك رواية عن التفجير في المرفأ، «نحن معنيون بالمقاومة وأمنها المُباشر، ولسنا قادرين على تحمّل كامل مسؤولية الأمن القومي بالبُعد الداخلي». المسألة بين أيدي الدولة والقضاء والأجهزة الأمنية والعسكرية، «ونحن ننتظر نتائج التحقيقات، لكن نظرياً هناك فرضيتان: أن يكون الحادث عرضياً أو عملاً تخريبياً. التحقيق يجب أن يستمر ويُقدّم إجابة للشعب اللبناني، لأنّها فاجعة طالت الجميع». ولكنّ السيّد حذّر من دخول «مكتب التحقيقات الفيدرالي» الأميركي على خطّ التحقيقات، «فإذا كانت إسرائيل مُتورطة في التفجير، يعني سيتمّ إنقاذها، وهذه كانت ستكون وظيفة إبعاد أي مسؤولية لإسرائيل لو كان لها دور فعلي».

لم يكن هذا التهديد الوحيد الذي تلقّاه العدّو في خطاب أمس، فرغم كلّ التطورات اللبنانية، إلا أنّ حزب الله لم يطو بعد صفحة القصف الإسرائيلي في محيط مطار دمشق الدولي أواخر الشهر الماضي، والذي أدّى إلى استشهاد المُقاوم علي كامل محسن. «قرار الردّ على استشهاد محسن لا يزال قائماً، لم يتغيّر أي شيء وعلى الإسرائيليين أن يبقوا مُنتظرين»، أكّد نصر الله، مُضيفاً أنّه «منذ اليوم الأول كان خيارنا أن نردّ، بهدف تثبيت قواعد الاشتباك، لذلك يجب أن يكون الردّ محسوباً وجدّياً. هناك معادلة حقيقية وقواعد اشتباك قائمة نُريد الحفاظ عليها وتثبيتها، وما يُثبّتها هو العمل الجادّ والمدروس». وما يجري على الحدود منذ ثلاثة أسابيع، من استنفار وانتشار لجنود العدّو على طول الحدود اللبنانية مع كلّ من الجولان المُحتل وفلسطين المحتلة، «ووقوفهم على إجر ونصف، هو جزء من العقاب».

المُعادلة التي تحدّث عنها الأمين العام لحزب الله، «هي التي تحمي لبنان». هذا البلد الذي كان «يُعدُّ له مشروع الأسبوع الماضي لإسقاط كلّ الدولة وليس المجلس النيابي فقط». إلا أنّ الأخطر في كلام نصر الله كان توجيهه الاتهام إلى «قوى سياسية لبنانية، لمصالح شخصية وخدمةً لمشاريع خارجية، أنّها عملت على وضع لبنان على حافة الحرب الأهلية». العنوان الأول لإسقاط الدولة، «هو العهد وفخامة الرئيس ميشال عون»، واصفاً إيّاه بأنّه «ليس الشخص الذي تستطيعون إسقاطه بهذه الطريقة. في حرب تموز، هُدّد بأنّ بيته سيُقصف ولم يُعدّل موقفه، الآن نتيجة بعض الشتائم يستقيل من الرئاسة؟». العنوان الثاني، هو المجلس النيابي، «فشُغل على تقديم استقالات جماعية. هناك كُتل موافقة على انتخابات نيابية مُبكرة، ولكن ليس الاستقالة. كُتل تُريد الاستقالة». العنوان الثالث كان إسقاط الحكومة، معتبراً أنه «كان صعباً على أي حكومة أن تصمد بوجه هذا الانفجار»، وما جرى كان بمثابة «أخذ البلد إلى حرب أهلية وإعادة ما كان يُعدّ عندما اختُطف رئيس الحكومة السابق سعد الحريري». انطلاقاً من هنا، حدّد نصر الله السقف بـ«منع سقوط الدولة ومؤسساتها واندلاع حرب أهلية. من تجدونه يهدم السقف، اتهموه بوطنيته». في هذا الإطار أيضاً، أتى التعليق على التظاهرات الأسبوع الماضي. ميّز نصر الله بين الناس التي تتظاهر وتأخذ موقفاً سلبياً من الحُكم «وهذا حقّها»، وبين الممارسات التحريضية التي «نُمكن أن تدفع إلى صدام مشبوه وتقف خلفها سفارات». كشف عن مُحاولات لاستفزاز جمهور المقاومة، شاكراً «صبركم وبصيرتكم. تواصلنا لضبط الساحة، لأنّ من الواضح وجود من يُريد جرّها إلى القتال في الشارع، ولن نكون وقوداً لهؤلاء». ولكن هذا لا يعني طمس الغضب، بل توجّه إلى «جمهوره» بالقول: «حافظوا على غضبكم لأنّنا قد نحتاج إليه لمنع جرّ لبنان إلى حرب أهلية».

ما هي الحكومة التي يُريدها حزب الله بعد أن تعدّدت الاحتمالات بين «وطنية» و«حيادية» وغيرهما؟ في البداية، شكر الرئيس المستقيل حسّان دياب، وكلّ الوزراء، «على شجاعتهم لتولّي الحُكم رغم كلّ الظروف التي كانت موجودة». وثانياً، ما يُطالب به حزب الله هو «حكومة قوية وقادرة ومحمية سياسياً، وإلّا فستنهار أو تسقط في المجلس النيابي عند أي مفرق». الموقف سابقاً كان تأييد حكومة وحدة وطنية، ولا يزال «الحزب» يُركّيه. أما إذا تعذّر ذلك، «فحكومة باوسع تمثيل سياسي وشعبي مُمكن، مؤلفة من سياسيين واختصاصيين، لتكون حكومة قوية». وحدّد نصر الله الأولويات لأي حكومة مُقبلة: «متابعة التحقيق والمحاسبة في مرفأ بيروت، إطلاق الإصلاحات، إعادة الإعمار، معالجة الموضوع المعيشي والاقتصادي». وهنا نصر الله من فكرة الحكومة الحيادية، «مَن يعني؟ في لبنان؟ لا نؤمن بوجود حياديين في لبنان حتّى تُؤلّفوا منهم حكومة». فهذه الحكومات ما هي إلّا «خداع لتجاوز التمثيل الحقيقي الذي أفرزه أي شعب من خلال انتخابات نيابية. فلنستفد من التجارب السابقة ونختصر الوقت في التأليف». ولكن أليس مُمكناً أن يرفض بعض القوى المُشاركة في الحكومة؟ «من لا يستطيع تحمّل المسؤولية فليخرج ويترك الناس تبحث عن خيارات جديدة. أما إذا كان البعض مُصرّاً على البقاء وفي الوقت نفسه لا يُريد المساهمة في تحمّل مسؤولية ما كان شريكاً في تخريبه، ويتآمر ويُحاصر من يُريد تحمّل المسؤولية، فلا أعرف ماذا مُمكن أن يُسمّى هذا التصرّف».

وعلى بُعد أيّام من النُطق بحكم المحكمة الدولية في اغتيال رئيس الحكومة السابق رفيق الحريري، أعلن نصر الله أنه «بالنسبة إلينا، هذا القرار سيكون كأنّه لم يصدر، ونحن مُتمسكون ببراءة إخواننا في الحزب». فليس المضمون، المعروف منذ سنوات مُهماً، «بل أن ننتبه كلبنانيين إلى أنّ هناك من سيُحاول استغلال القرار لاستهداف المقاومة وحزب الله». ففي الذكرى الـ14 لانتصار تموز 2006، مُناسبة حديث نصر الله أمس، تبقى مُشكلة الولايات المتحدة والعدو «المقاومة وقوتها. مُشكلتهم معنا لأنّ المقاومة تقف حاجزاً أمام الأطماع والتهديدات الإسرائيلية. لذلك يُريدون أن يتخلصوا منّا. ولو قبلنا بأن نتخلّى عن المقاومة، فسيشطبوننا من لائحة الإرهاب ويُقاتلون لنكون داخل الحكومة، ويُقدمون لنا المساعدات». وكشف نصر الله أنّه «حتى اليوم لا يزال هذا العرض موجوداً»، حكاية أنّ حزب الله يُهيمن على الحياة السياسة ويتدخّل في الإقليم، «حُجّة وكذبة. قد يتحمّلون ذلك، ولكن لا يتحملون بقاء قوّة اسمها المقاومة تُدافع عن أمن وسلامة وسيادة وعزّة لبنان». ولأنّ العدّو يعرف أنّ أي حرب عسكرية مُقبلة لن تُضعف حزب الله، فـ«سيلجأ إلى كلّ وسائل الضغط الأخرى. أقول إنّ المقاومة بالنسبة إلينا هي مسألة وجود، حتى إشعار آخر، وطالما لم يُقدّم بديل».

هي نفسها المقاومة التي أثبتت قوتها في تموز 2006، «يوم بدأ الأمر كعملية عسكرية وتطوّر سريعاً إلى حرب فرضها العدّو الصهيوني على لبنان بقرار أميركي». البلد الصغير «قاتل ووقف وحيداً أمام الكيان الغاصب الذي يعتبر نفسه أقوى جيش في الشرق الأوسط ومن الأقوى في العالم. 33 يوماً مضت والمقاومة تصبر وتصمد وتصنع الانتصارات، إلى أن أُجبرت إسرائيل على وقف عدوانها والتراجع عن شروطها». نتجت عن الحرب نتائج عديدة، أبرزها: «إيقاف وإفشال مشروع الشرق الأوسط الجديد، وكشف حقيقة الكيان الصهيوني ومستوى الترهّل في منظوماته وقدرته على الصمود، وتثبيت توازن الردع». هذه المُعادلة «تشتدّ يوماً بعد يوم وتحمي لبنان. إنجاز الـ2006 هو الحماية». ولكن، في ذكرى هذا الانتصار، وصلت بوارج فرنسية وبريطانية إلى البحر اللبناني، مع عراضة عسكرية غربية. بالنسبة إلى نصر الله، «حماية لبنان تكون بالتمسّك بالمقاومة والصبر على كلّ الظروف. ونحن أقوياء، ولا داعي للخوف. وسنبقى نحن وحلفاؤنا الأقوى في هذه المنطقة، والمستقبل سيكون لنا».

(الأخبار)

> قرار الردّ على استشهاد علي محسن لا يزال قائماً، وعلى الاسرائيليين ان يبقوا مُنتظرين

المشهد السياسي

هيك لرئيس حكومة يحظى بدعم شعبي: اللعبة انتهت!

في موازاة زحمة «الجيوش الأجنبية»، سادت زحمة جولات دبلوماسية يوم أمس. أبرزها زيارتا وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف ووكيل وزارة الخارجية الأميركية للشؤون السياسية ديفيد هيل. ظريف عبّر عن أمله بأن يكون لبنان ساحة تلاقٍ إقليمي ودولي لا ساحة صراع. فيما ركّز هيل على ضرورة تغيير نهج الحكومات السابقة لأن «اللعبة انتهت». مشدداً على ضرورة أن يحظى رئيس الحكومة المقبلة بـ«دعم شعبي»

لم يكد طرح تأليف حكومة حيادية يخرج الى العلن من باريس نيابة عن واشنطن، ولتكرره أحزاب القوات اللبنانية والاشتراكي والكتائب وبعض المجتمع المدني الدائر في فلكها، حتى دُفن سريعاً، ولا سيما بعد وصف الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله لحكومة الحياد يوم أمس، بـ«مضيعة للوقت وخداع لتجاوز التمثيل السياسي». هكذا، عاد النقاش الى حكومة الوحدة الوطنية «المحمية سياسيا» والتي كانت القوى السياسية قد بدأت تشاوراً أوّلياً حول طريقة تأليفها عقب زيارة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون. وفيما جرى الحديث عن إصرار أميركي على «الحياد»، لم يكن مطلباً مطروحاً خلال جولة وكيل وزارة الخارجية الاميركية للشؤون السياسية ديفيد هيل على عدد من المسؤولين اللبنانيين. لكن التركيز الأساسي لهيل تمحور حول ضرورة تغيير النهج السابق المعتمد في الحكومات الماضية، مشيراً الى أنه بالنسبة إلى ذلك النهج: Game is over. وقد ردّد هيل على مسامع رئيس الجمهورية ميشال عون ورئيس مجلس النواب نبيه بري ورئيس الحزب الاشتراكي وليد جنبلاط، كلام ماكرون نفسه من ناحية: «ساعدوا أنفسكم حتى نساعدكم»، مشيراً الى أن الأوضاع كانت لتكون أفضل لو تم تنفيذ جزء صغير من الوعود الإصلاحية على مرّ السنين.

لذلك لا بد اليوم، وفقاً للزائر الأميركي، من الحفاظ على التعاطف الدولي والدعم غير المسبوق الذي حظي به لبنان غداة انفجار المرفأ، والمطلوب استغلال هذا الالتفاف الدولي. أما أولى الخطوات المفترض إنجازها فتتجلى في تأليف حكومة «ذات نهج مختلف عن سابقاتها، بمعنى تنفيذ إصلاحات واسعة سريعة بعيداً عن الكلام»، فيما ثانيها، التركيز على اختيار «رئيس حكومة يحظى بدعم شعبي بعد أن أثبتت تجربة التكنوقراط فشلها في أداء دورها كتكنوقراط، إضافة الى ضعفها شعبياً، لأن لا قاعدة داعمة لرئيسها». ومن الصعب فهم كلام هيل في ما خصّ شعبية رئيس الحكومة سوى أنه إشارة إيجابية باتجاه الرئيس السابق للحكومة سعد الحريري «أو من يدعمه الحريري»، بحسب أحد الذين التقوا المسؤول الأميركي. رغم ذلك، ما زال الفيتو السعودي على اسم الحريري قائماً، إذ تعتبر المملكة أن الأخير بات ملتصقاً بحزب الله. لكن الضوء الأخضر الأميركي، إن توافر في الفترة المقبلة، فسيطيح حكماً هذا الفيتو.

من ناحية أخرى، تطرّق بري في حديثه مع هيل إلى إمكان إعفاء لبنان من تبعات قانون قيصر، لافتاً الى نقاش بينه وبين الملك الأردني قبل أشهر، ووزير الخارجية الأردني قبل أيام، لتزويد لبنان بالكهرباء عبر سوريا. فأبدى هيل استعداداً لدراسة هذا الموضوع.

في سياق آخر، طُرح مسار ترسيم الحدود، فاكتفى هيل بالقول إنه «فرصة يحتاج إليها لبنان كما المنطقة»، فيما رفضت مصادر مقرّبة من بري الكشف عمّا دار بشأن هذه النقطة تحديداً. الدبلوماسي الأميركي الذي التقى كلاً من رئيس الحكومة المستقيلة حسان دياب والحريري، اختتم جولته مساء أمس بعشاء لدى جنبلاط، ويفترض أن يلتقي اليوم كلاً من رئيس حزب القوات سمير جعجع والكتائب سامي الجميّل.

> صندوق النقد الدولي يبلغ وزير المالية ان في إمكان لبنان الحصول على 270 مليون دولار

وأشار في بيان وزعته السفارة الأميركية الى «مواصلة الاستماع غداً (اليوم) إلى مجموعة واسعة من المجتمع اللبناني، بما في ذلك المجتمع المدني والناشطون والشباب، للاستماع إلى كل وجهات النظر والأفكار حول الطرق الآيلة إلى إحداث تغيير جاد الذي يطالب به الشعب اللبناني بإلحاح».

في زيارته الى قصر بعبدا، شكر وكيل وزارة الخارجية الأميركية للشؤون السياسية الرئيس عون على «موافقة لبنان على استقبال فريق من مكتب التحقيق الفيدرالي FBI للمشاركة في التحقيقات التي يجريها القضاء اللبناني». وأوضح ضرورة تحقيق الإصلاحات والمضيّ في مكافحة الفساد، كمدخل «لفتح الباب أمام تحرير أموال مؤتمر سيدر والتعاون مع صندوق النقد الدولي».

في موازاة ذلك، تلقّى وزير المالية في حكومة تصريف الأعمال غازي وزني اتصالاً من الصندوق لإبلاغه بإمكان استخدام لبنان لنحو 270 مليون دولار كجزء من «حصته» في الصندوق. ولم يتضح إذا ما كان لبنان سيحصل على هذا المبلغ على شكل قرض أم أنه استخدام لجزء من مساهمته في الصندوق.

وقد حفل يوم أمس، الى جانب هيل، بزحمة زوار عرب وأجانب، من بينهم وزير الخارجية الايراني محمد جواد ظريف ووزيرة الجيوش الفرنسية فلورانس بارلي. وبينما كررت الأخيرة كلام هيل نفسه عن الإصلاحات والإسراع في تأليف الحكومة، أبدى ظريف استعداد بلاده لـ«التعاون في مجالات الصحة والطاقة والكهرباء والمحروقات»، مؤكداً جاهزية إيران «لتزويد لبنان بالزجاج وبمتطلبات إعادة إعمار المنازل والممتلكات المتضررة». وأكد في لقاءاته أنه يمكن للبنان أن يكون «ساحة تلاق إقليمي ودولي بدل أن يكون ساحة صراع بينهما». من جهته، أطلع ممثل الأمين العام للأمم المتحدة في لبنان، يان كوبيتش، الرئيس عون على «المداولات التي حصلت في مجلس الأمن منذ أيام بشأن التمديد للقوات الدولية العاملة في الجنوب»، مشيراً الى أن «النقاش كان إيجابياً وأن الرسائل التي وجّهها الرئيس عون حول هذا الموضوع ونقلت الى أعضاء مجلس الأمن كان لها التأثير الإيجابي في سير المداولات». ولفت الى بدء فرنسا العمل على «إعداد مسوّدة أوّلية لقرار مجلس الأمن التمديد للبونيفيل، سيجري التشاور في شأنها مع الدول الأعضاء في المجلس، بالتنسيق مع مندوبة لبنان الدائمة في نيويورك السفيرة أمل مدللي».

(مروان طحطح)

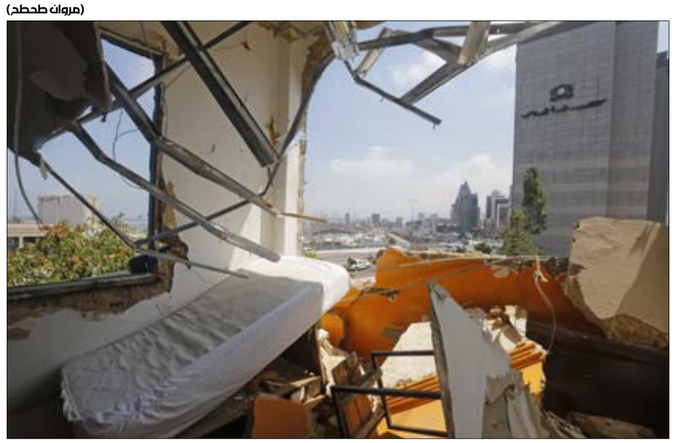

قضية

التحقيقات في تفجير مرفأ بيروت: القانون لا يحقق العدالة!

غُيّب المحقق العدلي في جريمة تفجير مرفأ بيروت، إلا أنّ الجلسة المقررة للاستماع إلى وزراء الأشغال والمالية والعدل المتعاقبين منذ عام 2013 أُلغيت فوراً. السبب إجراء روتيني يتعلّق بانتقال الملف إلى المحقق العدلي. لكن ذلك لا يُخفي وجود معضلة تتعلّق بالتحقيق مع الرؤساء والوزراء والنواب

رضوان مرتضى

اعتذر رئيس محكمة الجنايات في بيروت القاضي طارق بيطار عن عدم قبول تكليفه محققاً عدلياً في جريمة تفجير مرفأ بيروت. لم يُعلن السبب، إلا أنّ ما تداوله قضاة يتحدث عن سببين؛ الأوّل شخصي لعدم رغبة عائلته في وضعه في دائرة النار الإعلامية والسياسية والشعبية. والثاني إجرائي، إذ يرفض القاضي أن يسير في ملف سيُلزَم فيه بتطبيق القانون بدلاً من تحقيق العدالة لعائلات الضحايا، ولا سيما أنّ أيّ عدالة لن تكون ممكنة إلا إذا كانت هناك محاسبة سياسية تبدأ من رأس الهرم لتحاكم الرؤساء والوزراء، على أن تطال قادة الأجهزة الأمنية المسؤولة، والقضاة الذين يثبت

طالما انه لا آلية لملاحقة الرؤساء والوزراء، تكون الكلمة الفصل للمجلس العدلي

(مروان بوحيدر)

تقصيرهم، والمسؤولين المدنيين والعسكريين عن المرفأ الذين كانوا يعلمون ولديهم القدرة والصلاحية على الحؤول دون وقوع ما حصل، لكنهم تقاعسوا استهتاراً. لكل هذا، اختار القاضي الاعتذار. لم يشأ أن يكون شاهد زور ينتهي تحقيقه بخلاصة مفادها أنّ ما حصل «إهمالٌ وظيفي» و«تقصير من دون وجود نيّة قصدية» تسببت في ما حصل، لأن النصوص القانونية، وفي حال لم يكن هناك من مشتبه فيه بإضرام النيران عمداً، تحصر القضية بالتقصير والمخالفات. وبناءً على ذلك، رأى القاضي بيطار أنه سيكون عاجزاً عن إحقاق العدالة، فاعتذر لتقترح وزيرة العدل اسم القاضي فادي صوّان على مجلس القضاء الأعلى. وقبلها جرى التداول باسم قاضٍ من الشمال، إلا أنّ أحد أعضاء المجلس تحدث عن شرط بأنّ يكون المحقق العدلي مسيحياً. وهنا تُستحضر «الملاحظات الثورية» لوزيرة العدل على التشكيلات القضائية التي لم تُبصر النور، عندما تمنّت ضرورة تجاوز التوزيع المذهبي والطائفي للمواقع القضائية وكسر ما سمّته «الحلقة المقفلة» التي منحت مواقع لهذه الطائفة أو المذهب، بغية الوصول إلى مرحلة يخرج القضاء عبرها من هذه الشرنقة إلى رحاب الكفاءة والاختصاص. غير أنّها نفسها التزمت بالشرط الطائفي لتطرح أسماء ثلاثة قضاة، آخذة في الاعتبار أن يكونوا مسيحيين، بدلاً من أن تكون أولويتها نزاهة القاضي وكفاءته وشجاعته. هكذا أسقط على العدلية غُرف جديد بأن يكون المحقق العدلي من طائفة أكثرية الضحايا. ومن غير المعلوم من أحصى الضحايا وحدّد هوياتهم الطائفية، أم أنّه اعتمد هوية طائفية للمنطقة المنكوبة، مع العلم بأنّ المحقق العدلي في جريمة اغتيال الرئيس رفيق الحريري لم يكن مسلماً، بل كان الأول ميشال بو عرّاج والثاني الياس عيد. لماذا لم تُترك المحسوبية جانباً، وأمانته على دماء الضحايا؟

في المحصّلة، وقعت القرعة على القاضي صوّان. وهو اسمٌ كان معظم أعضاء المجلس يتمنون اقتراحه لقربه منهم، مع العلم بأنّ هذا القاضي، بحسب عارفيه من القضاة والضباط، دقيقٌ ومهني ويعرف القانون جيداً، ورغم أنّه كان قديماً مقرباً من حزب الكتائب، إلا أنّه قرر منذ زمن الابتعاد عن السياسة. وهو اليوم يدرّس في الجامعة ويُتابع ملفاته القضائية بصمت. ورغم حساسية تلك، يؤخذ عليه خشيته من المواجهة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، يحضر شاهد؛ فقد أُحيل ملف حادثة قبرشمون عليه يوم كان قاضي التحقيق العسكري الأول بالإنابة، إلا أنّ الوزير السابق سليم جريصاتي اتّصل به طالباً إليه إحالة الملف على القاضي مارسيل باسيل. يومها نفّذ القاضي صوّان ما طُلب منه ولم يعترض، لكنه خرج ليُخبر زملاءه كيف انتُزع الملف منه، وطُلب القاضي الذي يجب أن يحال إليه الملف بالاسم! أمام هذا الواقع، هل سيشدّ القاضي صوّان رُكبتيه بوجود مجهر الرأي العام والإعلام وحجم النكبة؟

محاولة تلاعب أو «ديبو» وزارة العدل؟

وصل معظم الوثائق والمراسلات التي طلبها القضاء لاستكمال التحقيق في تفجير مرفأ بيروت من مديرية الجمارك وهيئة إدارة المرفأ ووزارتي الأشغال والمالية، إلا أن المراسلات الموجودة في وزارة العدل لم تصل بعد. أما الذريعة المقدمة فهي عدم وجود مكنة تسمح بسحب هذه الوثائق بسرعة، بل أرشيفٌ يدوي يُفتّش فيه الموظف في «ديبو» «العدلية». ورغم أنّ وزارة العدل هي الأقرب جغرافياً من باقي الوزارات، يُخشى أن يكون سبب التأخير محاولة تلاعب لإخفاء بعض الوثائق المُرسلة من أجهزة أمنية وإدارية.

ولم يكد صوّان يتسلّم ملف تفجير مرفأ بيروت حتى أُلغيت الجلسة المقررة للاستماع إلى الوزراء الذين تسلموا حقيبة الأشغال منذ العام 2013. الذريعة كانت أنّ الملف بات في يد المحقق العدلي حيث يُصبح لزاماً أن تُكفّ يد النيابة العامة التمييزية المشرفة على التحقيق. غير أنّ نقاشاً انفتح في أروقة قصر العدل. فقد اعتبر قضاة أنّ المحقق العدلي لن يتمكن من استدعاء الرؤساء والوزراء الحاليين. كما قالوا إنّه لن يتمكن المحقق العدلي من التحقيق مع رؤساء ونواب ووزراء سابقين، سوى بصفتهم شهوداً، على اعتبار أنّه يُسائلهم عن فعل حصل أثناء توليهم لوظيفتهم المشمولة بالحصانة، معتبرين أنّ هؤلاء سيُحالون على المجلس الأعلى لمحاكمة الرؤساء والوزراء في حال كانوا مشتبهاً فيهم. وبالتالي، سيعود الملف إلى النقطة الصفر ليقف أمام حائط مسدود. وترى المصادر أنه بناءً على الإفادات التي سيستمع إليها المحقق العدلي، إذا وجد أن هناك وزراء أو نواب أو رؤساء مذنبين، فسيحيلهم على مجلس النواب الذي يتحوّل إلى مدّع عام ضدّهم. غير أنّ مراجع قضائية أكدت لـ «الأخبار» أنّ ذلك رهن بالمحقق العدلي، على اعتبار أنّ محكمة الرؤساء والوزراء غير موجودة. وعليه، فإنّ المجلس العدلي الذي يُعدّ أعلى محكمة جزائية استثنائية بإمكانه الاستماع إلى الرؤساء والوزراء والنواب كشهود وكمتّهمين أيضاً. وتؤكد المصادر القضائية أنّ لا وجود لتنازع صلاحية بسبب عدم وجود محكمة الرؤساء والوزراء. وبالتالي، فإنّ اليد الطولى ستكون للمحقق العدلي إذا ما ارتأى الإمساك بزمام الأمر، لأن ترتيبات الأحوال العادية ساقطة بحكم الحدث الاستثنائي. وعليه، يدخل استثناء على كل الاستثناءات. وطالما أنه لا آلية لملاحقة الرؤساء والوزراء، تكون الكلمة الفصل للمجلس العدلي، إذا كانت النية إحقاق الحق وتطبيق العدالة.

تقرير

الخلوي: سقطت الحكومة ولم تتسلم الدولة القطاع!

إيلي الفرزلي

اتخذت الحكومة قرار استعادة إدارة قطاع الخلوي من شركتي «زين» و«أوراسكوم» في 5 أيار الماضي. أكثر من 3 أشهر مرّت منذ ذلك الحين، كانت نتيجتها استقالة الحكومة وبقاء الشركتين في مكانهما. لكن هل هذا يعني أن صفحة استرداد القطاع قد طُويت؟ كثرٌ اتهموا وزارة الاتصالات، في الأشهر الماضية، بالتواطؤ مع الشركتين لعدم إتمام عملية التسليم والتسلم. تعيين وزير الاتصالات لأعضاء جدد لمجلس الإدارة، بعد شهر من قرار مجلس الوزراء، لم ينفّذ حتى اليوم، لأن التسلم لم يتحقق. بعد الاستقالة، صار الأمر أصعب. اسم رئيس الوزراء المقبل يحدد وجهة التعامل عن القطاع، وهذا أعطى أملاً، لشركة زين تحديداً، بالبقاء في موقعها. هي التي تُتهم بعرقلة كل مساعي التسليم والتسلم، من خلال تأخير الأعمال والضغط على الموردين، الذين لم يقبضوا أياً من مستحقاتهم منذ أكثر من عام. هذا السيناريو لا ينطبق على شركة «ألفا»، التي يبدو، بحسب مصادر الوزارة، أنها أنجزت ما كان طُلب منها من ملفات ومعلومات في سياق الإعداد لتسليم القطاع.

العقبة الأبرز التي أزيلت من أمام تسلم الدولة، كانت موافقة الموظفين على الانتقال من «أوراسكوم» و«زين» إلى «ميك 1» و«ميك 2»؛ إذ أكدت نقابة العاملين في الشركتين، «بالنظر إلى الظروف الاستثنائية التي تمر بها البلاد، عدم اعتراضها على عملية التسليم والتسلم، بما فيها انتقال الموظفين بالشروط والأحكام القائمة نفسها».

ما يؤخر العملية حالياً هو انتظار إنجاز التدقيق المالي الذي تجريه شركة PWC لحسابات الشركتين (حتى شهر حزيران)، تمهيداً لإعطاء براءة ذمة للموظفين وأعضاء مجلس الإدارة (ينص العقد على إعطاء براءة الذمة هذه مع نهاية كل سنة)، وفور التصديق على موازنة الشركتين). الخشية هنا تتبع من احتمال إعطاء براءة ذمة للشركتين. وهو ما عبّرت عنه مجموعة «وعي» في الاعتصام الذي نفّذته أمام مقر شركة «تاتش»، بالتزامن مع الجمعية العمومية التي كان مقرراً انعقادها أمس.

تجزم مصادر الوزارة بأن لا رابط بين إعطاء براءة الذمة للموظفين وإعطاء براءة ذمة للشركتين. فالحالة الأولى هي حالة تلقائية وطبيعية بحسب العقد، فيما لا براءة ذمة ستعطى لأي من الشركتين قبل التدقيق الذي سيجري لاحقاً. كما تؤكد المصادر أن الشركتين لن تستعيدا كفالتيهما مع تسلّم القطاع، مذكّرة بأن المادة 31 من العقد واضحة بعدم الربط بين تسلم القطاع من الشركتين وإعطائهما براءة ذمة.

تذهب مصادر مطلعة إلى الجزم بأن استقالة الحكومة لن توقف المسار الذي انطلق في 5 أيار الماضي، أما بشأن التأخير، فتشير إلى أن الأولوية كانت للقيام بالإجراءات بشكل قانوني ومُنسّق مع الشركتين، بما يؤدي بالنتيجة إلى الهدف المنشود. متى يحصل ذلك؟ يؤكد وزير الاتصالات طلال حواط أن التدقيق صار على النهاية، ويفترض أن تكون الأمور قد سوّيت بعد أسبوعين من اليوم، بحيث يتم التصديق على الحسابات المالية، ثم يتم تسلّم القطاع.

إلى ذلك الحين، تتهم مصادر مطلعة شركة «زين» بعرقلة هذه العملية، وخاصة بعد أن عززت استقالة الحكومة آمالها بعدم تسليم «ميك 2» للدولة اللبنانية.

أمس، كان يُفترض أن تنعقد جمعية عمومية للشركة، تُخصّص للموافقة على تمديد ولاية مجلس الإدارة لأسبوعين، يتم خلالها تسديد رواتب الموظفين عن شهري آب وأيلول، وتسديد مستحقات كل الموردين بهدف تأمين استمرارية الشبكة. هذه الجمعية، بعد أن كانت «زين» قد أعدت جدولاً لم توافق عليه الوزارة، بنتيجة الاجتماع، تم التوافق على البنود المطلوبة، على أن يعيد للموردين لضمان استمرارية القطاع «بما يراه مناسباً». لكن مجلس الإدارة ارتأى الدفع للموردي المازوت فقط، وترك الموردين الآخرين يعانون من الانتظار.

اجتماع الجمعية العمومية لم ينعقد لأن وزارة الاتصالات لم تبلغ بنك عودة، صاحب النسبة الأكبر من الأسهم، بالحضور. بحسب المعلومات، فإن السبب يعود إلى الخلاف بين وزارة الاتصالات وإدارة زين على نص الدعوة إلى الجمعية. فيوم الثلاثاء عقد اجتماع بين وزير الاتصالات طلال حواط وإدارة زين بهدف الاتفاق على جدول أعمال الجمعية، بعد أن كانت «زين» قد أعدت جدولاً لم توافق عليه الوزارة. بنتيجة الاجتماع، تم التوافق على البنود المطلوبة، على أن يعيد محامي «تاتش» عماد حمدان كتابة نص الدعوة بناءً على ما اتفق عليه. لكن تبيّن في اليوم التالي أن النص المرسل لم يراعِ ملاحظات الوزارة. وعليه، فقد رفض محامي الوزارة الوزير السابق ناجي البستاني النص، طالباً تعديله. الاعتراض ليس على البنود، بل على بعض المصطلحات المستعملة، والتي كانت بالنسبة إلى البستاني غير مناسبة، لأنها حمّالة أوجه، كأن يقال على سبيل المثال، استمرار مجلس الإدارة بدلاً من التمديد له. بالنتيجة طلب من تاتش تعديل النص، إلا أنها حتى يوم الجمعة استمرت في المماطلة ولم ترسل النص المطلوب، فعمدت الوزارة إلى تأجيل الجمعية، من خلال عدم دعوة بنك عودة إلى المشاركة.

«زين» عرقلت جمعية عمومية مخصّصة للدفع للموظفين وللموزّدين

بحسب مصادر متابعة، فإن انعقاد الجمعية من دون الاتفاق على جدول الأعمال، كان يمكن أن يؤدي إلى صدام بين حاملي الأسهم. لكن هذه المصادر تشير في المقابل إلى أن لا مجال أمام «زين» سوى الالتزام بما تطلبه الوزارة، وهي لن تنجح في شراء المزيد من الوقت. وبالتالي فإن الجمعية ستعقد على الأرجح في الأسبوع المقبل.

إن حصل ذلك، فإن بند الدفع للموزّدين هو الأكثر حساسية؛ إذ تبيّن سابقاً أن الشركة ترفض الدفع لهؤلاء، بحجة أن ذلك يخالف المادة 36 من قانون الموازنة، التي تنص على تحويل الإيرادات إلى الخزينة، بعد دفع الرواتب، كما ينص على أن يصار إلى الاتفاق على آلية بين وزيري الاتصالات والمالية يتم من خلالها الدفع للموردين. وبالفعل، عمد مجلس الوزراء إلى الموافقة على آلية المقترحة، والتي تنص على أن تحول الإيرادات الصافية إلى الخزينة، بعد أن تدفع الشركتين الرواتب والمصاريف التشغيلية مباشرة. أما بالنسبة إلى المصاريف الاستثمارية، فقد أشارت الآلية إلى إيداعها في حساب خاص في مصرف لبنان، على أن يعود وزير الاتصالات إلى مجلس الوزراء للموافقة على كل مشروع على حدة.

وبعد موافقة مجلس الوزراء تتولى وزارة المالية الدفع للموردين.

تلك الآلية سارت بها شركة «ألفا»، التي عقدت جمعية عمومية أجازت لمجلس الإدارة دفع الرواتب، إضافة إلى المصاريف التشغيلية. وأكثر من ذلك، تؤكد مصادر في الوزارة أن العمل على التسليم والتسلم مع «أوراسكوم» قطع شوطاً كبيراً، وصارت الأمور في خواتيمها. لكن المسألة في «زين» تبدو أكثر تعقيداً. الشركات المتعاقدة معها تعاني من أزمات مالية حادة، نظراً إلى عدم قبضها مستحقاتها منذ بداية العام 2019. وقد عمد جزء كبير منهم، إما إلى الإقفال أو صرف العمال، ما يوجب الإسراع في دفع مستحقاتهم، كي لا نشهد المزيد من الأزمات.

في الواجهة

هل يكون خالد قبّاني رئيساً لحكومة «حيادية»؟

نقولا ناصيف

لا إشارات ملموسة بعد الى احتمال تحديد موعد للاستشارات النيابية الملزمة لتكليف رئيس جديد للحكومة، رغم انقضاء خمسة ايام على استقالة حكومة الرئيس حسان دياب. لا اتصالات ومفاوضات حيالها، ولا مرشحين للتكليف، فيما المرشحون الطبيعيون يختفون ويتنصّلون، ولا يريدون أن يكونوا في صدارة الحدث.

ليست المرة الاولى منذ عام 2005 - ما دام السوريون كانوا قبل ذلك التاريخ صانعيها - يتداخل العامل الخارجي بالعامل الداخلي في تأليف الحكومات المتعاقبة بلا استثناء. بيد انها المرة الاولى، ربما، يتهيّب اللاعبون المحليون ويخشون ردّ فعل العامل الخارجي، ويشعرون بهامش ضيّق من المناورة لتعديل وجهة التأليف. عندما أُرغِم دياب على التنحي في 10 آب، ساد اعتقاد أن الحكومة التي ستخلف حكومته ستكون على صورة تلك التي توالت منذ عام 2008. عزّز هذا الاعتقاد، منذ ما قبل الاستقالة، دعوة الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون، عندما زار بيروت في 6 آب، الى حكومة وحدة وطنية. للفور تبددت الشكوك ليلة الاستقالة 10 آب، بانعقاد اجتماع عين التينة برئاسة الرئيس نبيه برّي ضم النائب جبران باسيل وممثلي حركة امل وحزب الله.

بات الاسم المحسوم لرئاسة حكومة الوحدة الوطنية التي أصرّ عليها الاجتماع، هو الرئيس سعد الحريري، بيد أن التواصل الفرنسي - الاميركي، غداة زيارة بيروت، استمراراً للتنسيق بين الدولتين الكبريين حيال لبنان، أفضى الى تعديل في موقف باريس على نحو حملها على التخلي عن المناداة بحكومة وحدة وطنية، ودعم وجهة النظر الاميركية بحكومة حيادية رئيساً واعضاء. ترجمت التوجه الجديد، المكالمات الهاتفية التي اجراها ماكرون في 12 آب بشخصيات لبنانية، كان التقاها في قصر الصنوبر، داعياً الى ضرورة الاخذ في الاعتبار المضي في حكومة حيادية. عنى ذلك استبعاد الحريري عن السرايا مجدداً. بعض المعلومات عزا هذا التحوّل الى تنسيق اميركي - سعودي تلاقى، بالنسبة الى كليهما وإن بمبررات مختلفة، على صرف النظر عن حكومة الوحدة الوطنية، فلا تتحمّل عندئذ عودة الحريري، بل يخرج حزب الله من الحكومة، وهو ما يريدانه.

عند الاميركيين، عودة الحريري الى رئاسة الحكومة تبقي الاحتجاج في الشارع. وتناوئ ارادته، فضلاً عن أن الحريري لا يسعه اولاً حمل وزر المرحلة الجديدة، ولأنه ثانياً جزء لا يتجزأ من الطبقة الحاكمة المغضوب عليها. تصيبه شبهات الفساد وتقويض اقتصاد البلاد وإفقارها ما تصيبها. اما عند السعوديين، فذريعة الاستبعاد مختلفة تماماً. لا تزال الابواب موصدة كلياً في وجه الرئيس السابق للحكومة، اذ لم يعد الرجل حليفهم، ولا حتماً ما كانوا يدعونه ووالده الرئيس رفيق الحريري منذ ايام الملك فهد «ولدنا».

الواقع ان تجربة الحريري الابن مع تكليف دياب فتأليف الاخير حكومته، ابرزت للعيان انه فقد الفيتو السنّي الوحيد والقاطع مذ فقد استئثاره بقيادة الشارع السنّي. لم يفشل دياب لافتقاره الى شارع سنّي الى جانبه يدعمه، ولا توهّم لحظة انه مشروع زعيم سنّي شعبي يستطيع مقارعة نادي رؤساء الحكومات السابقين، بل لأنه محاط باكثرية نيابية اتت به كي تحكم كتلها من وراء ظهره. ربما لأنه غالى في سوء تقديره هو ووزراؤه بأنهم مستقلون الى الحد الذي توهموا.

الانتقال من حكومة وحدة وطنية الى حيادية، اذ اعادت الى الاذهان المرحلة التي رافقت ما قبل تكليف دياب ثم ابانها، أربك الافرقاء، جميعاً. بعدما اكثّر الحريري والمحيطون به من القول انه لا يعود الى السرايا الا بشروطه في غمرة الحديث عن حكومة وحدة وطنية، دخل في صمت طويل مذذاك، وبات كما المحيطون به يتصرّفون على انه غير معني لمجرد ان شاع ان الحكومة المقبلة حيادية رئيساً واعضاء. لم تطفُ الى السطح اسماء عديدة على جاري العادة عند هذا الاستحقاق. ترافق طرح اسم الرئيس السابق للحكومة مع اسم السفير السابق في نيويورك الدكتور نواف سلام، وكان تردد اسمه ايضاً قبل تكليف دياب. توازن اسما المرشحين بالفيتوات التي جُبها بها: رئيس الجمهورية والتيار الوطني الحر رفضا الاول، والثنائي الشيعي ناوأ الثاني. في الايام الاخيرة، في دوائر مغلقة وخاصة، طُرح اسم الوزير السابق الدكتور خالد قباني رئيساً محتملاً للحكومة «الحيادية»، نظراً الى السمعة المهنية النظيفة والكفايات التي يتمتع بها كقانوني بارز، فضلاً عن عدم تورّطه في النزاعات السياسية وملفات الفساد والشبهات، وإن وُزّر ثلاث مرات في حكومات الرئيسين نجيب ميقاتي (2005) وفؤاد السنيورة (2005 و2008) من حصة تيار المستقبل.

ما يبدو معلناً حتى الآن على الاقل، أن التيار الوطني الحر وثنائي حزب الله وحركة أمل، وهو الفريق الذي يتصرّف على انه اول المعنيين والممسك بالغالبية النيابية، لم يهضما تماماً فكرة حكومة حيادية مهمتها وفق المواصفات الاميركية، وطبعاً تبعاً للمعلومات الجاري تبادلها في بيروت، ليس ابعادهم والشركاء الآخرين فحسب عن الدخول في برواز حكومة وحدة وطنية، بل ولوج الحكومة الحيادية الاصلاحات من بابها العريض واستعادة الدولة منهم، ووضع حد للفساد واهدار المال العام وتدمير الاقتصاد. بدا المقصود تأكيد الاصرار على ربط اي مساعدة مالية غربية وعربية، تتجاوز الاغاثة الحالية، بالاصلاحات البنيوية التي حيل دون إقدام حكومة دياب عليها. بدا المقصود كذلك الذهاب الى حكومة لا تكون على صورة وزراء الحكومة المستقيلة، يُداورون من وراء الستار من افرقاء حكومة الوحدة الوطنية.

من جرّاء هذا الكباش المضمر، يصعب العثور على مرجعية تتخذ موقفاً صريحاً من مواصفات الحكومة الجديدة. ويستمر ايضاً تعذّر تحديد موعد للاستشارات النيابية الملزمة.

تحقيق

عن «الضاحية» المطلة على وسط البلد
الخندق الغميق قبل 4 آب وبعده: التخلّي والحرمان على حالهما

إيلده الغصين

خسر الخندق الغميق موظّف مرفأ بيروت علي اسماعيل. تلك كانت الخسارة الكبرى. بعدها تهبط المصائب بـ«المفرّق». عددٌ من الجرحى، أضرارٌ ماديّة، تكسيرٌ طاول المحال والشرفات والمباني، وهلعٌ أصاب السكان الذين يُطلّ شارعهم على وسط البلد. هذه الإطلالة، كلّفت أبناء الخندق الكثير، منذ ما قبل انفجار 4 آب؛ فصلتهم عن مدينة أُعيد إعمارها دونهم. خبت النقمة في قلوبهم، على مرّ السنوات، وهم يشاهدون المباني ترتفع أمام أعينهم، فيما بيوت الخندق متصدّعة، والأثريّة الجميلة منها فارغة بلا تأهيل. هذا، كان قبل الانفجار الذي دمّر العاصمة. بعده، لم تختفِ النقمة، بل زادت تجاه بلديّة بيروت التي لطالما حجبت عن الخندق والبسطة وزقاق البلاط، وما حولها من «ضواحٍ» للعاصمة، أي التفاتة.

> أهل الخندق خارجون عن خريطة

لا خيم مساعدات عاجلة ولا إغاثة طارئة بل زياراتٌ معدودة لـ«فوضى» المنظّمات

البلديّة، هذا تحصيلٌ صار وراءهم. بعد الكارثة، لم تصل إليهم الهيئة العليا للإغاثة ولجان الدولة. الجمعيّات غير الحكوميّة المعدودة التي تطرق الأبواب، تدفعهم لطرح أسئلة عدة: «لماذا يسجّلون أرقام هواتفنا، وكل المعلومات عن شققنا، يجمعون ملفّاتنا ويعودوننا بمساعدات، من دون أن نستلم إيصالاً... هل سيعودون فعلاً؟ هل سيقبضون بالنيابة عنا؟». في الخندق ومحيطه، بالرغم من الفقر المدقع، لا خيمَ مساعدات عاجلة ولا إغاثة طارئة؛ بل زياراتٌ معدودة لـ«فوضى» المنظّمات، بهدف «مسح» الأضرار والتعويض «المؤجّل».

يستعيد أهل الخندق اللحظات الأولى لانفجار المرفأ، «الهزّة الأرضيّة» التي اعتقدوا أنها أصابت الأبنية وأوقعت الزجاج وحطمت الأبواب. «سادت حالة من الذعر، ركضنا وسط الشوارع، يقول إبن حيّ الزهراوي، ويضيف «بس الحمدلله، أحسن من غيرنا، أحسن من تحت». هذا «التحت» قصد به وسط البلد، «تحت مش إلنا»، قالها، لكن «نزلت دمعتنا على ما شاهدناه». على «الموتوسيكلات»، هرع شباب الخندق لنجدة المصابين والجرحى. تلك الآلة بعجلتين، التي تلازم الصّبية الذاهبَ عنهم. صبيٌّ يثيره أهل الخندق، حتى لو لم تبادرهم بالسؤال عنه، «لدينا كفاءات وقدّمنا تضحيات، من ينزلون لا يمثّلون جميع السكان، ولا يمكن اختصار الخندق بعدد من الشباب»، يقول أبو عيسى، صاحب محلّ الخضار. يضيف «نمر» الثلاثيني «نحن مش مثل ما بيشوفونا!». كيف يراهم الآخر؟ سؤال يصلح لسجالٍ طويل قد لا يُنصفهم بما يخصّ الاعتداءات المتكرّرة على المتظاهرين، لكن بعد «تركتهم» جرّاء الإنفجار، صار للجوابِ «دليلٌ ملموس» على أنهم «منبوذون».

(مروان بوحيدر)

(مروان طحطح)

علاقة الخندق ومحيطه بالعاصمة شيء، وعلاقتهما بالمرفأ شيءٌ آخر. «لدينا الكثير من العمال المياومين في المرفأ، ولو أن الانفجار وقع خلال دوام العمل، لكانت خسارتنا أكبر». في الشارع الرئيسي، حيث المحال التجاريّة عادت للعمل بعد «ترقيع» سريع للأبواب، تقول صاحبة محلّ الألبسة أصيبت في الإنفجار، وتضيف «طرت لجوّا، أقفل باب المحل وعلقت في الداخل مع جروح في يدي، المحلّ تضرّر، ولم تبقَ نوافذ صالحة في البيت». جارها الخيّاط، قذفه عصف الانفجار إلى داخل محلّه، تضرّر منزله كذلك، وبالمختصر «الله يفتري على من افترى علينا!»، وما يجب إصلاحه لا يقتصر على الماديّات بل «طبقة السياسيّين كلّها بدها قبع وتغيير». محلّ السمانة متضرّر أيضاً، وكان صاحبه لحظة الانفجار على شرفة منزله القريب «شعرت أن الشرفة هوت بي! شو بدي قول أكتر، الحمدلله». على بعد شارعين، تضرّرت دار للنشر يملكها أبو حسن، الثمانيني الذي عاش الحرب وقذائفها المتساقطة قرب محلّه... لكنّ هذه المرّة نقمته مختلفة، ويصبّها على «الحدّادين والقزّازين... إجتهم الرزقة، وصار بدهن كوميسيون (عمولة) ليجوا يصلحوا! بعد ما شرّفوا».

في الخندق الغميق، تدلّك الصورة الكبيرة للشهيد علي اسماعيل إلى منزل أهله. منزل يختصر تاريخ الشارع، ونزاعه المستمرّ مع الحياة ولقمة العيش، ومع الأبنية الجديدة. يشبه منازل الحارات القديمة، عتيقٌ متصدّعٌ ومنفردٌ من طبقة واحدة على جنب الطريق. يدعوك أبو يوسف، والد علي، إلى الداخل، هو لا يريد الحديث إلى الإعلام بل يريد الفضفضة عن خسارته ولدٍ في ريعان الشباب. في الداخل، يتّشح أهل البيت بالسواد، حزناً على إبن الـ33 عاماً غير المكتملة، «يُكملها في تشرين الأول». تقطع الغصّة كلمات أبو يوسف، ثمّ تقطعها مجدّداً «سحبة السيجارة» التي لا تفارق يده. الرجل النحيل مفجوع على «ابني علي لي كان مجبور يشتغل دوامين بالبور، لإعالة عائلته وطفله الذي يبلغ سنتين». في ذلك اليوم اللعين، «كان دوام علي من الثانية بعد الظهر حتى العاشرة ليلاً، كان البحث عنه قاتلاً، في اليوم التالي تبلّغنا بأنه في أحد المستشفيات». غُمّست لقمة علي بالدم. «يا ريت فراقه صعب، الصعب بيهون! هيدا علي الأدمي، لي بيساعد الكلّ، ومين ما بيعرفه بيبكي عليه»، يقول أبو يوسف، شارحاً عن «بسمة لا تفارق وجه علي، تماماً مثل صورته». صورةٌ ستربط الخندق الغميق بذكرى 4 آب.

على الحافة

حتى لا تنتج الكارثة كوارث أخرى

حبيب معلوف

لكثرة الفساد والإهمال، ليس مستغرباً أن تكون الكوارث في لبنان مميتة غالباً، من دون استبعاد فرضيات الاعتداء والافتعال. وليس مستغرباً، أيضاً، سوء إدارة هذه الأزمات في ظل الغياب التام للدولة والفشل في تأسيس هيئة لإدارة الكوارث، ما يؤدي دائماً إلى... كوارث جديدة، صحياً وبيئياً واجتماعياً وتراثياً.

ففي غياب الدولة وهيئاتها المتخصصة، بدأ متطوعون متحمّسون، بعد انفجار الرابع من آب، بإزالة الردم من المناطق المتضررة، بشكل عشوائي قد يتسبب بكوارث بيئية وصحية إضافية، إذ أن مخلّفات كارثة المرفأ ليست ردميات عادية، بل يمكن أن تحتوي على مئات الأنواع من المواد الخطرة التي تحتاج الى إدارة خاصة، تبدأ بأخذ العينات وإجراء الاختبارات لمعرفة نوع التفجير وطبيعته ومكوّناته... وتنتهي بتأمين مواقع لنقل الركام ذات مواصفات خاصة للجمع والتخزين والمعالجة، مع الاهتمام بالرعاية الصحية وإعطاء التوجيهات والمعدات اللازمة للحماية والوقاية والمعالجة. وهذه مهمات يفترض أن تكون محددة ومدروسة مسبقاً، وتتولاها هيئات متخصصة ومدربة ومجهزة بكل ما يلزم لإدارة الكوارث.

أما التدخلات الدولية، الضرورية و«المشكورة»، لمساعدة لبنان في محنته، فأكثر ما يخيف فيها أنها كثيراً ما تحمل في طيات برامجها «الاصلاحية»، مشاريع كبيرة قد لا تقل خطورة عن الكوارث نفسها، لا سيما في الطاقة والمياه والبنى التحتية. ففي حين يكون المطلوب تمويل مشاريع صغيرة لحسن إدارة المياه المتوفرة سيأتي من يموّل انشاء السدود الكبيرة مهملاً إصلاح الشبكات ومحاسبة الإدارات الفاسدة والعاجزة وتغييرها. والأمر نفسه ينطبق على مشاريع الطاقة. فبدل اعتماد استراتيجيات لترشيد الاستهلاك وطلب نقل التكنولوجيا المتجددة والنظيفة والاهتمام بمشاريع صغيرة ولامركزية لتوليد الطاقة من مصادر متجددة كالمياه والشمس والهواء... نذهب إلى انشاء معامل إنتاج حرارية كبيرة وملوثة قد نجبر على التخلي عنها لاحقا باتفاقيات وقرارات دولية للتخفيف من انبعاثات تتسبب بكوارث مناخية اكبر بكثير من كل الكوارث التي عرفناها. وفيما يحتاج بلد نام وغير صناعي ولا منتج كلبنان الى مشاريع كبرى للنقل العام، كإحياء مشاريع سكك الحديد مثلا، يتم تركّز المشاريع على تطوير البنى التحتية لتشجيع استخدام السيارات الخاصة و«تنفيع» شركات تصنيع السيارات في الدول الصناعية. أضف الى ذلك ما يعنيه «التدويل» من مشاريع استثمارية كبيرة تبدأ بترسيم الحدود وتنتهي بالتنقيب عن الغاز والنفط وتأمين محطات نقل الإنتاج من مرافئ وخطوط نقل يتم ترسيمها على نار حامية لتأمين مصالح كبرى، قد يضيع في خضمّها بلد صغير مثل لبنان ويفقد طبيعته التي تعدّ من أهم ميزاته التفاضلية بين دول المنطقة.

لم تنجح الحكومات المتعاقبة يوماً في تأسيس هيئات متخصصة لإدارة الكوارث ولا في وضع استراتيجيات للبيئة والتنمية المستدامة أكثر عمقاً وشمولاً. ويعود السبب الأول في ذلك إلى اخفاق رؤساء الحكومات أنفسهم. إذ هذه المهمات، في غياب وزارة للتخطيط، تتجاوز صلاحيات اي وزارة بمفردها، وهي بالتأكيد اكبر من قدرات مجلس الانماء والاعمار وهيئة الإغاثة... وقد تكون هناك فرصة الآن، في معرض البحث عن رئيس جديد للحكومة، أن يطرح هذا الأمر كأحد بنود الاصلاح الذي يكثر الحديث عنه هذه الأيام، ولكن بعيداً عن القوى التقليدية المجربة، وعن المنظمات غير الحكومية التي لا تنشط الا اذا كانت مموّلة بحسب اجندات لا علاقة لها بالحاجات الوطنية... وعبر انشاء أحزاب جديدة لها خلفياتها الفكرية الجديدة وبرامجها واستراتيجياتها الثورية في كل القطاعات والقضايا، تعامل «ناسها» ككائنات لها حقوق وعليها واجبات، وليس كأرقام للحشد والاستخدام.

ولعل اهم مهمة عاجلة يفترض معالجتها بسرعة أثناء لملمة نتائج الكارثة، إعادة الاعتبار الى دور الدولة التي لا غنى عنها وعن دورها كراعية ومؤتمنة على حماية الموارد وحسن ادارتها وديمومتها وعلى حفظ حقوق الناس والأجيال القادمة... وليس من بديل عن «دولة فاشلة» الا دولة عادلة وراعية.

تقرير

مخاوف من تفاعل مواد كيميائية مسرطنة في هواء العاصمة
لا عيّنات من «مسرح الجريمة» بعد!

رحيل دندش

عشرة أيام مرّت على التفجير - الكارثة، من دون أن يعرف اللبنانيون بعد «هوية» المواد الكيميائية التي كانت الى جانب نيترات الأمونيوم، وتسببت بتلك السحابة الزهرية التي غطت سماء المدينة. والسبب، بحسب المعنيين، العجز عن تجميع العيّنات اللازمة من مكان الإنفجار بسبب إحكام الجيش سيطرته على «مسرح الجريمة».

النتيجة الوحيدة «المكفولة»، إلى الآن، هو أن «لا تلوث إشعاعي نجم عن الإنفجار»، بحسب تأكيد الأمين العام للمجلس الوطني للبحوث العلمية معين حمزة. وهي نتيجة خرج بها المركز بعد إجراء تحاليل إشعاعية أجرتها محطات الاستشعار الثلاثة التابعة للمركز الموجودة في بيروت، وغيرها المنتشرة على جميع الأراضي اللبنانية. لكن، مع ذلك، يشدّد حمزة على أن «هذه الخلاصة المطمئنة غير كافية»، خصوصاً في ظل التخوف من ترسّب مواد كيميائية غير محددة تفاعلت مع الانفجار وربما تسببت في تلوّث الهواء الملوث أصلاً فوق بيروت، و«رقدت» على الشرفات والأسطح المختلفة. ومن الممكن أن يكون المواطنون قد تنشقوها أثناء عمليات رفع الأنقاض، فضلاً عن ذوبانها في المياه وانتقالها إلى المياه الجوفية والآبار ومياه البحر.

لكن هذه تبقى «مجرد فرضيات»، على ما يقول المعنيون، وحتى الآن لم يظهر أي أثر يُخشى منه. ففي ما يخص المياه مثلاً، طمأن مدير مؤسسة مياه بيروت وجبل لبنان جان جبران إلى أن المياه في بيروت سليمة ولم تتأثر «لأن مصادر المياه بعيدة عن المدينة وقادمة من ضبية والمشرف ونقوم بفحصها دورياً». أما بالنسبة إلى الآبار، فلا يملك جبران أية معلومات «لأنها آبار خاصة ولا علاقة للمؤسسة بها».

غير أن ما بات أكيداً هو أن الإنفجار «أدى إلى وجود نفايات كارثية يفترض إدارتها بشكل دقيق وخاص»، بحسب المهندسة البيئية والمتخصصة في إدارة النفايات في الجامعة الأميركية أماني معلوف. إذ أن الكارثة «تسببت بتشكّل مستنقعات مياه ناقلة للأمراض، مع الأخذ في الإعتبار أن هناك مواد خطرة تحتاج إلى معالجة خاصة (...) فالردميات، مثلاً، تحتوي على مواد خطرة مثل الأسبستوس الذي يستخدم في أسقف الاسمنت وأنظمة المياه والتدفئة والمواد المقاومة للحرارة، إضافة إلى المعادن الثقيلة مثل الرصاص في الأنابيب والدهانات والزئبق في الترموستات والمواد الكيميائية الأخرى الموجودة عادة في المنازل». وما يزيد الطين بلة «وجود نفايات كورونا التي لم تتم إدارتها بشكل خاص. فكمية صغيرة بين هذا الحطام يمكن أن تلوث كل الردميات وتصبح معالجتها مستحيلة». كل هذا يفترض، بحسب معلوف، تشكيل لجنة علمية للكشف وأخذ عينات ومحاولة سحبها قبل جمع بقية الردميات بطرق خاصة ونقلها مع إمكانية الفرز قبل النقل.

وفي السياق نفسه، تقوم أكثر من جهة أكاديمية وعلمية بجمع عينات بهدف تحليلها، أبرزها جامعة البلمند التي أطلقت حملة لجمع العينات بدأت مع الساعات الأولى عقب وقوع الانفجار، «وهي عبارة عن غبار مترسب على شرفات وأسطح البيوت لتحليله ومعرفة مكوناته الكيميائية والجسيمات العالقة»، تقول أستاذة الهندسة المدنية والبيئة في جامعة البلمند ياسمين جبلي. وقد جمعت العينات من كل المناطق التي تأثرت بالإنفجار. ولفتت جبلي إلى أن عينات للمياه والتربة ستسحب من نقطة الانفجار عند منح الإذن بالدخول إلى المرفأ، وهذا ما يساعد في تحديد الملوثات الموجودة قبل وقوع الانفجار والانبعاثات التي ظهرت بعد وقوعه. وبرأي جبلي، فإن «هذه النقطة مهمة، خصوصاً أن منطقة المرفأ منطقة ملوثة وتعد منطقة ميتة (Dead zone) بسبب إفراغ السفن لحمولاتها من مياه الصرف الصحي فضلاً عن ترسب الزيوت والمواد النفطية جراء توقف البواخر إلى غيرها من الملوثات». ما يهم هنا، بحسب جبلي، معرفة ما الذي حصل بعد الانفجار وما المواد التي أضيفت إلى الهواء الملوث وإلى التربة. والخوف، برأيها، هو من ثلاث مواد هي: ثاني أوكسيد النيتروجين NO2 الملوث للهواء والتربة، الهيدروكربونات الأروماتية الحلقية (PAH) وهي مواد سامة ومسرطنة، وحامض النتريك. وبما أنه إلى الآن لا يمكن الخروج بنتائج، تنصح جبلي بارتداء أقنعة خاصة (mask N95) وقفازات عند رفع الركام في البيوت وعلى الطرقات، ورش الجو بالمياه كي تنزل هذه الجزئيات على الأرض.

> ينصح الخبراء بارتداء أقنعة خاصة وقفازات عند رفع الركام

يدو انتر ميلانو الأقرب إلى الفوز باللقب القاري (أ ف ب)

يوروبا ليغ

قمتان من العيار الثقيل... الدوري الأوروبي في أمتاره الأخيرة

يشهد دور نصف النهائي من الدوري الأوروبي مباراتين من العيار الثقيل. تجمع الأولى مانشستر يونايتد بغريف إشبيلية، في حين تضع الثانية انتر ميلانو بمواجهة شختار. ستقام المباريات المتبقية في ألمانيا تجنّباً لانتشار فيروس كورونا المستجد. كما سيقتصر دور نصف النهائي على مباراة واحدة عوضاً عن جولتي الذهاب والإياب، على ان يتأهل الفائز مباشرة إلى الدور النهائي

مانشستر يونايتد x اشبيلية

تلعب غداً الأحد مباراة من العيار الثقيل في دور نصف النهائي من الدوري الأوروبي بين مانشستر يونايتد وإشبيلية. ستقام المباراة على الأراضي الألمانية، (22:00 بتوقيت بيروت).

موسمٌ صعب عرفه مانشستر يونايتد برفقة المدرب أولي غونار سولشاير، غير أن الأمور تحسّنت بعد استئناف النشاط الكروي ليحتل الفريق المركز الثالث في الدوري، إضافةً إلى بلوغه دور نصف النهائي من يوروبا ليغ، لم تكن الطريق معبّدة لمانشستر يونايتد في مشواره الأوروبي، حيث نال بطاقة العبور إلى هذا الدور أمام فريق كوبنهاغن الدانماركي في وقتٍ متأخر، بعد أن سجّل برونو فرنانديز الهدف الوحيد في الدقيقة 95 من علامة الجزاء. «بينالتي» هي الرابعة لمانشستر يونايتد في الدوري الأوروبي، رفعت الحصيلة الإجمالية للفريق إلى 21 ركلة جزاء في مختلف المسابقات. وهو الرقم الأعلى بين الفرق الأوروبية هذا الموسم.

المهمّة ستكون صعبة لمانشستر يونايتد أمام إشبيلية، الذي يعدّ أحد أبرز المرشحين للفوز باللقب. يعدّ النادي الأندلسي أحد أكثر الفرق خبرةً في هذه المسابقة، وهو يسعى للظفر باللقب مرة أخرى بعد أن حقق ثلاثية تاريخية متتالية في الفترة الممتدة بين عامي 2013 و2016.

يتّصف فريق إشبيلية بالشمولية واللعب الجماعي، وذلك بفعل ما أضافه المدرب لوبيتيغي إلى المنظومة. يعدّ إيفير بانيغا مصدر الخطورة الأساسي في الفريق، حيث يتولّى عملية البناء من الخلف وقيادة الشق الهجومي. كان صانع الألعاب الأرجنتيني السبب الرئيسي وراء إخراج فريق الشياطين الحمر من دوري الأبطال قبل موسمين، حين صنع 17 فرصة متاحة للتسجيل أمام المدرب السابق للفريق جوزيه مورينيو.

يدرك مدرب مانشستر الحالي سولشاير مدى تأثير بانيغا على المنظومة، وسيحاول جاهداً الحدّ من خطورته خاصة بعد ما قام به الأرجنتيني في دور ربع النهائي أمام وولفرهامبتون، حيث وصلت تمريرات بانيغا أمام الذئاب إلى (103)، وهو رقمٌ أعلى من ثلاثي خط وسط وولفرهامبتون مجتمعين (40). على الجهة المقابلة، كان التألق الهجومي لمانشستر يونايتد السبب الرئيسي وراء النجاح النسبي للفريق هذا الموسم، حيث فرض ثلاثي المقدمة المؤلف من ماركوس راشفورد، أنطوني مارسيال وماسون غرينوود نفسه كأحد أفضل خطوط الهجوم في أوروبا. بعيداً عن الثلاثي الهجومي، تبرز القوة في خط وسط متين مكوّن من بول بوغبا، الفرنسي الذي استعاد ثقته من جديد، وبرونو فيرنانديز الذي ساهم بشكل كبير في خلق التوازن للمنظومة منذ مجيئه في الانتقالات الشتوية الأخيرة. منظومة هجومية ستسبب الكثير من المتاعب

> **يعدّ إيفير بانيغا مصدر الخطورة الأساسي في فريق إشبيلية وصاحب التمريرات الحاسمة**

في المرتدات لفريق إشبيلية، الذي يعتمد بدوره على الاستحواذ في طريقة لعبه. ظهر ذلك جلياً في الدور ربع النهائي أمام وولفرهامبتون، حيث بلغت نسبة استحواذ الفريق الأندلسي على الكرة 75%، ليرتفع معدّل استحواذ الفريق في البطولة حتى الآن إلى 66,3%.

تَوّج إشبيلية بالدوري الأوروبي في كلّ مناسبة وصل فيها إلى ربع النهائي، في حين وصل مانشستر يونايتد إلى النهائي في آخر 4 مرات بلغ فيها دور نصف النهائي من بطولة أوروبية.

حافظ مانشستر يونايتد على نظافة شباكه في 8 مناسبات من آخر 11 مباراة في المسابقة، مقابل 7 لإشبيلية في آخر 10 مباريات، وهو ما ينبئ بمباراة مغلقة من قبل الفريقين.

انتر ميلانو x شختار

في مباراة أخرى، يواجه إنتر ميلانو فريق شاختار في دور نصف النهائي أيضاً، الإثنين (22:00 بتوقيت بيروت). هي المرة الأولى التي يظهر خلالها النادي الإيطالي في نصف نهائي بطولة أوروبية منذ دوري أبطال 2009، في حين يطمح شختار لأن يصل إلى النهائي الأوروبي الثاني في تاريخه. في السنوات الأخيرة، اعتمد نادي شاختار دونيتسك الأوكراني على لاعبين برازيليين في سبيله للتألق المحلي والأوروبي. التأثير البرازيلي لا يزال حاضراً في شاختار هذا الموسم، حيث يظهر بالأرقام مدى مساهمة «الصيغة» الأميركية الجنوبية في الفريق. تشهد الجبهة الهجومية لشاختار على أفضل برازيليي الفريق، حيث يبرز كل من تايسون، مارلوس وموراييس. كان هذا الأخير ذا فاعلية كبيرة منذ انضمامه إلى النادي قبل عامين، حيث أحرز 26 هدفاً في الموسم الماضي وسجل 25 هدفاً هذا الموسم، جاء ثلاثة منها في الأسبوع الماضي أمام فولفسبورج في دور الـ16، ثم بازل في ربع النهائي.

رغم ترشيح النقاد لفريق أنطونيو كونتي الإيطالي للعبور، قد يحول التناغم بين لاعبي شاختار دون ذلك. يمتلك الفريق الأوكراني العديد من اللاعبين الذين شاركوا في نفس المنظومة لسنوات عديدة، ما قد يظهر في المباراة المرتقبة نوعاً من التفاهم والاستقرار أكثر من منظومة أنطونيو كونتي «المستجدة». رغم ذلك، يبقى إنتر ميلانو صاحب الحظوظ الأعلى للتأهل، نظراً إلى قيمة اللاعبين الفنية والنتائج الإيجابية للفريق في الفترة الأخيرة. استبقظ الإنتر متأخراً بعد أن تخبط في منتصف الموسم، لينهي الدوري بفارق نقطة واحدة فقط عن يوفنتوس البطل.

ظهر جلياً على لاعبي الإنتر بعض علامات التعب في ربع النهائي الأوروبي ضد بايرن ليفركوزن، حيث كانت تلك المباراة هي السادسة عشرة للفريق في شهرين فقط، وهو ما سيستغله الفريق الأوكراني.

ستتحه الأنظار إلى مهاجم الإنتر روميلو لوكاكو الذي يأمل في مواجهة فريقه السابق مانشستر يونايتد في النهائي. حقق لوكاكو رقماً قياسياً أمام ليفركوزن بتسجيله في تسع مباريات متتالية في الدوري الأوروبي، لتصل حصيلة أهدافه إلى 31، في موسمه الأول مع الإنتر.

(الأخبار)

دوري أبطال أوروبا

سيتي X ليون: غواردیولا أمام فرصة تاريخية

بعوّل السيتي على دوري الأبطال بعد خسارة اللقب المحلي (أ ف ب)

ينظر مانشستر سيتي الإنكليزي بقيادة مدربه الإسباني جوسيب غواردیولا إلى البطولة المصغرة الاستثنائية التي تستضيفها العاصمة البرتغالية لشبونة، كأفضل فرصة ممكنة من أجل معانقة المجد القاري وإحراز لقب مسابقة دوري أبطال أوروبا للمرة الأولى في تاريخ الـ«سيتيزينس». وبعد أن اكتفى حتى الآن برفع كأس الكؤوس الأوروبية عام 1970، جاء فيروس كورونا المستجد ليفرض واقعاً استثنائياً قد يصبّ تماماً في صالح سيتي الذي أثبت أنه قادر هذه المرة على الوصول حتى النهاية من خلال إقصاء ريال مدريد الإسباني، حامل الرقم القياسي بعدد الألقاب (13)، من ثمن النهائي بالفوز عليه إياباً (2-1) قبل أسبوع في «فقاعة» لشبونة، بعد أن تغلّب عليه قبل التوقف الذي فرضه «كوفيد-19» بنفس النتيجة.

وبدا غواردیولا هذه المرة أكثر ثقة من السابق بإمكانية قيادة سيتي إلى اللقب المرموق بالقول: «نحن هنا من أجل محاولة الفوز بلقب دوري الأبطال»، محذّراً «من الاعتقاد بأن ذلك (الفوز على ريال) كافٍ لأنه سيظهر صغر حجمنا (على صعيد القارة). إذا أردت الفوز عليك التغلب على الفرق الكبرى». واحتاج سيتي إلى ثمانية مواسم في دوري الأبطال لكي يتغلّب على بطل سابق للمسابقة في مواجهة من مباراتي ذهاب وإياب. وإقصاء ريال بالفوز عليه مرتين قبل التوقف الذي فرضه «كوفيد-19» وبعده، أظهر نضوجاً وقدرة على التعامل مع الضغوط، وهما أمران افتقد إليهما رجال غواردیولا في السابق.

ويبدو الطريق الآن، أقلّه على الورق، ممهّداً أمام سيتي لبلوغ دور الأربعة للمرة الثانية فقط في تاريخه بعد موسم 2015-2016 حين انتهى مشواره على يد ريال مدريد، وذلك لأنه يتواجه اليوم السبت (الساعة 22:00 بتوقيت بيروت) مع ليون الذي أنهى الدوري الفرنسي المختصر في المركز السابع. لكن على سيتي الحذر ليس لأنّ ليون أقصى يوفنتوس الإيطالي من ثمن النهائي (خسر إياباً 2-1 وفاز ذهاباً في ملعبه 1-صفر)، بل لأن تاريخه غير مشجّع في المواجهات التي يعتبر فيها المرشح الأوفر حظاً، وأبرز دليل على ذلك خروجه في المواسم الثلاثة بإشراف غواردیولا على أيدي موناكو الفرنسي (من ثمن النهائي موسم 2016-2017) ومواطنيه ليفربول (ربع النهائي موسم 2017-2018) وتوتنهام (ربع النهائي موسم 2018-2019). وكشف غواردیولا، الفائز بلقب المسابقة مرتين كمدرب مع برشلونة، أنه «تحدث للتو مع قسم الكشافين بشأن ليون، وأخبروني بأنه يجب توخي الحذر». وبالفعل، على سيتي الحذر من ليون الذي انتزع أربع نقاط من أصل ست ممكنة من الفريق الإنكليزي حين تواجها الموسم الماضي في دور المجموعات، لكن الفارق شاسع بين الفريقين من حيث موهبة اللاعبين والإمكانيات المادية التي دفعت الفريق الفرنسي إلى بيع لاعبين مثل فرلان مندي أو نبيل فقير الصيف الماضي، في حين يواصل منافسه عملية الإنفاق الكبير بحثاً عن تحقيق حلم دوري الأبطال. وبعد أن تنازل عن لقب الدوري المحلي لصالح ليفربول واكتفى محلياً بإحراز لقب كأس الرابطة، يعول غواردیولا كثيراً على دوري الأبطال لكي ينسى الخيبة المحلية، إلّا أن المهمة لن تكون سهلة لا سيما أن الخصم المقبل، في حال تخطّي ليون، سيكون الفائز من المواجهة بين فريقيه السابقين برشلونة وبايرن ميونيخ الألماني الذي فرض نفسه المرشح الأبرز لرفع الكأس.

> **تبدو الفرصة سانحة لمانشستر سيتي للذهاب بعيداً في البطولة القارية الأعرق**

غالباً ما يتذمّر غواردیولا من أجواء الحماس الضعيفة في «ستاد الاتحاد» خلال الأمسيات الأوروبية، مقارنة بملاعب «كامب نو» و«سانتياغو برنابيو» أو «أنفيلد» الخاص بالغريم المحلي ليفربول الذي تنازل عن اللقب القاري بالخروج من ثمن النهائي على يد أتلتيكو مدريد الإسباني. لكن هذه النقطة السلبية ستنطبق على الجميع في «فقاعة» لشبونة في ظلّ اللعب خلف أبواب موصدة من دون جمهور.

وباستثناء افتقاده لخدمات الأرجنتيني سيرخيو أغويرو بسبب الإصابة، يخوض سيتي مباراة اليوم بصفوف مكتملة وفي وضع بدني ممتاز، لا سيما بعد أن ركز غواردیولا على تحضير فريقه لدوري الأبطال منذ عودة المنافسات من التوقّف الذي فرضه «كوفيد-19»، عوضاً عن إهدار المرشح الأبرز لرفع الكأس.

غالباً ما يتذمّر غواردیولا من أجواء الحماس الضعيفة في «ستاد الاتحاد» خلال الأمسيات الأوروبية، مقارنة بملاعب «كامب نو» و«سانتياغو برنابيو» أو «أنفيلد» الخاص بالغريم المحلي ليفربول الذي تنازل عن اللقب القاري بالخروج من ثمن النهائي على يد أتلتيكو مدريد الإسباني. لكن هذه النقطة السلبية ستنطبق على الجميع في «فقاعة» لشبونة في ظلّ اللعب خلف أبواب موصدة من دون جمهور.

وباستثناء افتقاده لخدمات الأرجنتيني سيرخيو أغويرو بسبب الإصابة، يخوض سيتي مباراة اليوم بصفوف مكتملة وفي وضع بدني ممتاز، لا سيما بعد أن ركز غواردیولا على تحضير فريقه لدوري الأبطال منذ عودة المنافسات من التوقّف الذي فرضه «كوفيد-19»، عوضاً عن إهدار المرشح الأبرز لرفع الكأس.

لكن على المدرب الإسباني التركيز على دفاعه الذي لعب الدور الأساس في الهزائم التسع التي تلقاها الفريق في الدوري الممتاز هذا الموسم، إلّا أن كلّ ذلك كان قبل عودة قلب الدفاع الفرنسي أيمريك لابورت من الإصابة.

في الناحية الهجومية، لا يفتقر سيتي إلى المواهب في ظلّ وجود صانع الألعاب البلجيكي كيفن دي بروين الذي أثبت أنه أفضل لاعبي الوسط في العالم، والبرازيلي غابرييل جيزوس، الجزائري رياض محرز، ريحيم ستيرلينغ، البرتغالي برناردو سيلفا أو الإسباني دافيد سيلفا الذي يمنّي النفس بوداع تاريخي والفوز باللقب القاري المرموق قبل مغادرة الـ«سيتيزينس».

حول العالم

ملحق فاصل بين بورتلاند ومعمفيس

يجمع الملحق المؤهل إلى الأدوار الإقصائية في دوري كرة السلة الأميركي للمحترفين بورتلاند ترايل بلايزرز ومعمفيس غريزليز، بعد اقتناص الأول المركز الثامن في منطقته الغربية واحتفاظ الثاني بالتاسع، وذلك على حساب فينيكس صنز. وعلى غرار مبارياته الأخيرة، تعملق داميان ليلارد وقاد بورتلاند إلى الفوز على بروكلينس نتس (134-133) في «قفاعة» أورلاندو بولاية فلوريدا بسبب فيروس كورونا المستجد.

وهذه المرة سرق ليلارد كرة حاسمة قبل 1,11 دقيقة على نهاية الوقت من المتألّق كاريس ليفيرت (37 نقطة)، ومرّرها لسي جاي ماكولوم (25 نقطة) الذي منح فريقه التقدّم بأربع نقاط (134-130). مع الموزع ليلارد مجدداً مسجلاً 42 نقطة و12 متابعة، بينها 8 ثلاثيات من 14 محاولة.

وسيكون بورتلاند (35 فوزاً و39 خسارة) بحاجة لفوز واحد على معفيس (34-39) في نهاية الأسبوع ليحتلّ المركز الثامن المؤهّل إلى البلاي أوف حيث سيواجه لوس انجليس ليكرز في الدور الأول، وتكون مبارزة منتظرة بين ليلارد و«الملك» ليبرون جيمس.

سيميوني يعترف بالضعف

شدّد دييجو سيميوني مدرب أتليتيكو مدريد على أن فريقه قدّم كل ما لديه في الهزيمة (2-1) أمام لايبزغ في دور الثمانية بدوري أبطال أوروبا لكرة القدم يوم الخميس واعترف أن الفريق الألماني تفوّق على فريقه. وقال سيميوني في مؤتمر صحافي: «أتفهم أن (لايبزغ) كان أفضل منا لكن لم يكن باستطاعتنا تقديم المزيد. لم نلعب كما أردنا لكن يجب علينا الحفاظ على تركيزنا والاستعداد للموسم المقبل. عانينا للتفوق في المواجهات الفردية على أرض الملعب و(لايبزغ) كان أسرع منّا وارتكب أخطاء أكثر منا وكان جيداً جداً في إيقافنا عن اللعب لكننا قدمنا كل شيء».

وعانى أتليتيكو لمجاراة حدّة لايبزغ وتأخّر بهدف داني أولمو بضربة رأس قبل أن يدرك جواو فيلكس التعادل من ركلة جزاء. وحسم تايلر آدامز الفوز بتسديدة غيرت اتّجاهها قرب النهاية بينما كان أتليتيكو يستعيد هدوءه.

وقال المدرب الأرجنتيني إن فريقه خارت قواه في نهاية موسم شاق امتدّ لأكثر من 12 شهراً بسبب التوقف الطويل الذي نتج من جائحة فيروس كورونا. وأشار سيميوني إلى التحديات في موسم فريقه الصعب في الدوري الإسباني بعد رحيل المهاجم أنطوان غريزمان والمدافع ديبغو جودين والنتائج المخيبة. واحتاج أتليتيكو إلى أداء قوي في الجزء الأخير من الموسم لحصد المركز الثالث بعدما قضى وقتاً طويلاً من الموسم خارج المربع الذهبي. وأضاف «كان عاماً طويلاً جداً وتعرضنا لضغط هائل لمحاولة بلوغ دوري الأبطال ثم علقنا في منازلنا لأسابيع طويلة. نشعر بالألم لأننا تعرضنا لضغط كبير في الموسم والعديد من الإصابات وغياب الرؤية بسبب تعاقدنا مع العديد من اللاعبين الجديد». وتابع «كان يمكننا تقديم الأفضل الليلة وأردنا التقدم في البطولة لكن على الجانب العاطفي وبعد استعدادنا وحماسنا لا يوجد ما أشتكي منه».

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للتلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل ـ 01/ 666314 ـ 15، 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل: /AlakhbarNews، @AlakhbarNews، /alakhbarnews-paper

ما قبل الفاجعة وما بعدها: مركزيّة الصراع الاجتماعيّ

ورد كاسوحة *

الأثر المروّع لانفجار المرفأ، لم يظهر في اتجاه واحد فقط. مضاعفاته تجاوزت إدانة النظام السياسي برمّته إلى التساؤل عن مصير الكيان ذاته، عشيّة الاحتفال بمئوية تأسيسه الأولى. التشكيك بشرعية كلّ القوى التي أوصلت البلاد إلى هذه الهاوية، أتت استكمالاً للمسار الذي بدأ في 17 تشرين الأول/ أكتوبر الماضي، ولكن هذه المرّة في لحظة أفول المسار نفسه، أو لنَقُل بشكل أدقّ، في لحظة غياب الأدوات اللازمة لاستمرار الصراع وتزخيمه، مع تآكل قوى الاحتجاج واندثار أطرها الواحدة تلو الأخرى. المسار الوحيد الذي بقي قائماً من تلك المرحلة، هو المعركة مع المصارف ومصرف لبنان على خلفية التفاوض مع صندوق النقد على إعادة هيكلة الدين العام، وتوزيع الخسائر الناجمة عنها. وهو مسار قادته الحكومة المستقيلة الحالية بحكم تمثيلها لاتجاه المناهض لسياسات المصارف ومصرف لبنان، وقد انتهى بدوره إلى هزيمة مطلقة لمصلحة الأوليغارشية المصرفية، في ظلّ موازين قوى اقتصادية وسياسية لا تسمح للاتجاهات المناهضة لها بالذهاب في معركتها حتى النهاية. هذا الانسداد الكامل، تزامُن مع انفجار زُمنة شحّ الوقود كنتيجة مباشرة لعجز النموذج عن تقديم بدائل عن الاستيراد بالدولار. العتمة الشاملة التي سبقت الانفجار، بدت كموشّر على فداحة الوضع الذي وصلت إليه البلاد قبل الرابع من آب/ أغسطس. الأزمة بهذا المعنى، لم تكن فقط أزمة نظام أو حتى كيان، بل كذلك أزمة بدائل وقوى معارضة، والأهمّ من هذا وذاك، أزمة نموذج اقتصادي لا يريد الإقرار بمسؤوليته عن الإفلاس والانهيار، خصوصاً أنّ الفرصة الآن باتت متاحة أكثر من السابق لتفادي المحاسبة، على قاعدة عودة الانقسامات الأهلية التي كانت قد توارت قليلاً بفضل قوة الدفع الخاصّة بـ17 تشرين الأول/ أكتوبر الماضي.

تحوّلات 17 تشرين

الانفجار أتى في هذا السياق تحديداً، ولذلك كان طبيعياً أن تنفجر معه ليس فقط العاصمة بيروت، بل أيضاً كلّ التناقضات التي استطاعت لحظة 17 تشرين احتواءها وإعادة إنتاجها. والحال أنّ «فلسفة» تلك «اللحظة التاريخية»، كانت تقوم على معاودة إنتاج الصراع، بحيث لا تكون الغلبة فيه للانقسامات الأهلية والطائفية كالعادة، بل إن يُعاد فرز القوى داخله بحسب بُعدها أو قربها من جوهر الصراع الاجتماعي، الذي تبلوَر حينها بوضوح بالغ ولأول مرة بهذه الحدّة في تاريخ البلاد. أي، بوصفه صراعاً بين أكثرية المُفقَرين التي عانت طويلاً من اختلالات النموذج القائم، والأقلّية التي تمثّلها الأوليغارشية المالية، والتي حصل كلّ التراكم لحسابها، سواءً في الريع المالي المباشر أو في «نمط الإنتاج» الذي اختزل في شكله العقاري. فماعيل هذه اللحظة كانت قد «انتهت» تقريباً قبل الانفجار، وأتى هذا الأخير ليؤكّد أنّها في حال عادت فلن تكون على الأرجح، لا بحجم سابقتها، ولا بقدرتها على التأثير التي كانت مشروطة بظرف اجتماعي اقتصادي حصلت فيه تحوّلات كثيرة، أهمّها انتقال المعركة مع المصارف ومصرف لبنان والنموذج عموماً، من الشارع إلى المؤسّسات بعد تشكيل الحكومة الحالية. خسارة الحكومة المستقيلة لهذه المعركة، بعد صولات وجولات طويلة مع جمعية المصارف والقوى السياسية الداعمة لها، أضعفَت أكثر فأكثر شرعية مجموعات 17 تشرين الأول (اليسارية تحديداً)، التي كانت قد انقسمت إلى قسمين: قسم حاضر رمزياً في الحكومة لحثّها على متابعة المعركة مع المصارف وحاكمية مصرف لبنان حتى النهاية، وآخر في الشارع لمراقبة الحكومة والمصارف معاً، بحيث لا تكون ثمّة قيود على حركته في حال تطلّب الأمر معاودة استئناف المعركة مع السلطة. ظروف الانهيار لم تسمح بمتابعة هذا الجهد، خصوصاً بعد التقييد الذي حصل لمنع تفشّي الوباء، فاضطرّت الحكومة لخوض هذه المعركة وحدها، بدون غطاء شعبي في الشارع، وفي وقت كان فيه الفريق الإصلاحي داخلها ليس فقط محاصَراً، بل أيضاً يتلقّى الضربة تلو الأخرى، إلى أن خُسِم الصراع بخروج مدير عام وزارة المالية الذي كان يقود المعركة تقريباً، من الحكم. الهزيمة التي حصلت داخل المؤسّسات انعكست فوراً على الشارع، حتى في ظلّ غياب مجموعات تعمل فيه مباشرة، وهو ما جعل استمرار الأشكال الأخرى التي يمكن من خلالها تعويض «الخسارة الأساسية» صعباً، إن لم نقل مستحيلاً.

ثنائية القديم والجديد

هذا كان يحصل في ظلّ التوازنات القديمة نفسها، فحكومة حسّان دياب المستقيلة لم تمثّل قطيعة مع قوى «الطائف»، بل حظيت بتأييد جزء منها، كون هذا الجزء لا يمانع تحسين شروط المعركة مع المصارف، بحيث يقوّي موقعه داخل السلطة على حساب الفريق الآخر الذي يبدو أقرب إلى المنظومة المالية والمصرفية التي يقودها حاكم مصرف لبنان. انعكس ذلك بدوره على المجموعات في 17 تشرين، التي كانت تفضّل حصول المواجهة مع السلطة بشعارات تبتعد قدر الإمكان عن مناهضة النموذج الاقتصادي، الذي لم يكن لها مصلحة في تقويضه، أي بخلاف موقف نظيرتها اليسارية الأكثر حضوراً وشعبية داخل الحركة. وهو ما أضعف وحدة هذه المجموعات في محطّات لاحقة كثيرة، خصوصاً في لحظة اشتداد الصراع مع المصارف، إذ ازداد الفرز داخلها، ومعه ازدادت فاعلية الجناح الذي اكتسب بفضل نشاطه على الأرض ضدّ المصارف في لحظة تغوّلها على الناس وحرمانهم ودائعهم موقعاً متقدماً، أهّله لاحقاً لتمثيل أكثرية المحرومين من استعمال ودائعهم وأموالهم المحجوزة في البنوك. فشهدنا في هذا السياق انفراد أفرزها هذا الشكل الجديد من المواجهة، وأهمّها على الإطلاق ظاهرة الشبّان الذين تطوّعوا لحماية ودائع الناس، عبر اقتحام المصارف وتهديدها، إن لم تُقدِم على تحرير الودائع. وسواءً مورس العنف في هذه الحالات أم لا، فإنّ مجرّد إشهاره والتلويح به بهذه الطريقة يعني ليس فقط فقدان هذه المؤسّسات التي كانت تموّل عمل النموذج لمصداقيتها لدى الأكثرية، بل أيضاً التشكيك بوظيفتها ذاتها، والتي تتجاوز الصراع المحلّي نفسه لتصل إلى الدور الذي تؤدّيه البنوك، عبر عمليات الإقراض والادّخار بالفائدة في النظام الرأسمالي نفسه. صحيح أنّ هذه الأعمال الرمزية لم تستمرّ طويلاً، بسبب ظروف البلاد، ولكنّها أتاحت لجزء يسير من اللبنانيين اختبار أشكال جديدة ليس فقط من الوعي المصحوب بمقاومة اجتماعية شديدة، بل أيضاً من الانتماء، بمعناه الأوسع. حيث بدا حزب المتضرّرين من احتيالات المصارف وسرقاتها، أقلّه في تلك المرحلة، وكأنّه الحزب الأكبر في لبنان، وهي «استعارة» قد تفيد في فهم عمق التحوّل الذي أصاب علاقة هؤلاء ليس فقط بالمصارف، بل أيضاً بأحزابهم وانتماءاتهم السياسية نفسها. الولاءات القديمة، القرابية والزبائنية لم تتنهِ بهذا المعنى، بل تراجعت قدرتها ليس فقط على تأمين حصّتها من الريع، بل أيضاً على ترجمته إلى علاقة مادّية مع الناس الذين تؤمّن لهم هذه القيادات عبر الحضور في الدولة ومؤسّساتها، أو حتى في القطاع الخاص سُبُل الحياة والعيش و.. إلخ. انقطاع الريع أصاب هذه المنظومة في مقتل، وأدّى إلى تراجع كبير في أشكال هيمنتها، سواءً سياسياً أو اقتصادياً واجتماعياً، قبل معاودة تزخيمها لاحقاً حين بدأت تظهر شبكات الإغاثة الخاصة بالطوائف، كبديل من انهيار الخدمات التي تقدّمها الدولة، وعدم قدرتها على تمويل إنفاق اللبنانيين على احتياجاتهم الأساسية. الخطورة المرحلية التي مثّلها هذا الوعي لدى قطاعات متزايدة من اللبنانيين ـ وهو وعي طبقي بالتعريف ـ على القوى القديمة، سواءً التي تؤيّد الطائف أو تعارضه، يفسّر السرعة التي حدث فيها الانقلاب، ليس فقط على خطة الحكومة لإعادة الهيكلة وتوزيع الخسائر بعد تحديدها، بل كذلك على أيّ ترجمة عملية كان ممكن أن تحصل لها على الأرض في حال نجاحها. بمعنى، تزخيم الأطر الناشطة ضدّ المصارف وتأطيرها أكثر سياسياً، بحيث تصبح قوّة فاعلة ليس فقط في القدرة الشرائية وفي «عملية الإنتاج» عموماً بالطبع المحموم للعملة المحلّية، وبالتالي زيادة الطلب على الدولار الذي يرفع من جديد نسبة التضخّم، وهكذا دواليك...

كلّ هذه الحلقة المُفرغة، حصلت في غياب أيّ رقابة شعبية على عمل المصارف ومصرف لبنان، وفي لحظة كانت فيها الحكومة، أو على الأقلّ الاتجاه المناهض للمصارف داخلها، قد هُزم تماماً في معركته لتحديد حجم الخسائر وتوزيعها بشكل عادل.

الانهيار بدون كوابح اجتماعية

كلّ ذلك انتهى الآن، وحتى قبل حدوث الانفجار، لأنّ الفاعلية على الأرض، سواءً في هذا الاتجاه أو ذاك، تتعارض مع ظروف الانهيار الذي كان قد أطبق بالكامل على البلاد مع بداية تفشّي الفيروس، وفرْض الحظر الجزئي. انهيار قطاع الأعمال الصغيرة والمتوسّطة مع حصول التقييد، أنهى أيّ إمكانية، لربط النشاط السياسي من جديد بصراع الأكثرية ضد المصارف، وهو ما انعكس على نشاط المجموعات المختلفة، حتى اليمينية منها، في الجمعيات وسواها. وبالتالي استعادت القوى التقليدية الملعب الذي كانت قد فقدته جزئياً لمصلحة هذه المجموعات، واتت استعادته في ظرف شديد الوطأة على كلّ القطاعات الاقتصادية في الدولة وخارجها، إلى درجة أنّ توفير اعتمادات بالدولار للوقود بات هو الأولوية القصوى في ظلّ حالة الانقطاع شبه الكامل للكهرباء. هكذا، تصاعدت أزمة نضوب الدولار أو شحّه في غياب أيّ وجود مادّي في الشارع، على عكس ما حصل مع أزمة الودائع، حين كانت المجموعات المنتشرة في أرجاء البلاد قادرة على ممارسة ضغط مادّي على المصارف، لإجبارها رمزياً على تحرير الودائع، وتسليمها، نقداً، وبالدولار، لأصحابها. إيقاع الأزمة الأخيرة ضبط لأشهر خلال الحجر بين مصرف لبنان والمصارف والصرّافين، وهؤلاء عملياً يمثّلون ليس فقط جهة واحدة، بل الجهة التي خيضت ضدّها معركة تحرير الودائع طيلة أسابيع. ولكن بسبب نفشي الفيروس، وبتغطية من الحكومة والمعارضة معاً، أو بتواطؤ من كليهما، سُمح لمصرف لبنان بتحريك أسعار الصرف بما يتناسب مع حاجته إلى إطفاء خسائره، بوسائل مختلفة، أهمّها تسليم أجزاء من الودائع المدولرة لأصحابها بالليرة بعد أن تكون قد فقدت نصف قيمتها أو أكثر بسبب الفارق بين سعر الصرف. بالإضافة إلى «قص شعر» الودائع بهذه الطريقة وبالتالي انهيار قيمة الأدخار الفعلية، ثمّة أيضاً أزمة ارتفاع الأسعار أو فقدان السلع واحتكارها في مقابل فقدان آلاف الوظائف، وتدنّي قيمة الأجور مع تراجع أرباح أرباب العمل بسبب أزمة الإقفال. وهو ما جعَل مصرف لبنان يلجأ إلى تغطية هذا الانهيار في القدرة الشرائية وفي «عملية الإنتاج» عموماً بالطبع المحموم للعملة المحلّية، وبالتالي زيادة الطلب على الدولار الذي يرفع من جديد نسبة التضخّم، وهكذا دواليك...

كلّ هذه الحلقة المُفرغة، حصلت في غياب أيّ رقابة شعبية على عمل المصارف ومصرف لبنان، وفي لحظة كانت فيها الحكومة، أو على الأقلّ الاتجاه المناهض للمصارف داخلها، قد هُزم تماماً في معركته لتحديد حجم الخسائر وتوزيعها بشكل عادل.

خاتمة

الصراع على الوجهة الاقتصادية للبلاد، بهذا المعنى، بات يفتقر إلى محدّدات سياسية واضحة، في ظلّ غياب الجهة التي كانت تعارض تحميل الخسائر لأكثرية المودعين، سواءً كانت داخل الحكومة أو في الشارع. ومع غيابها، ومع عودة الانقسامات السابقة إثر الانفجار وما تسبّب به من تروما جماعية، ستعود البلاد على الأرجح لتشهد جولات من «الصراع الأهلي»، ولكن من دون وجود إطار هذه المرّة لضبطها وإعادة إنتاجها في سياق جديد، كما حصل في 17 تشرين الأول/ أكتوبر الماضي. حتى «الفكّ الجزئي للحصار» الذي تسبّب به الانفجار عرَضياً، سيصعُب «الاستفادة منه»، ما لم تُستوْنَف المعركة مع المصارف، ليس بالضرورة كما حصل مع الحكومة الحالية، على اعتبار أنّ موازين القوى في الاقتصاد لا تزال لمصلحة الأوليغارشية. ولكن، أقلّه، بشكل يجعل هذه المنظومة لا تستفيد من الظرف المستجدّ، وما يحمله من فرص اقتصادية لجهة إعادة الإعمار المقبلة للهروب من استحقاق دفع فاتورة الخسائر التي تسبّبت بها للاقتصاد وأكثرية المودعين. هؤلاء الضحايا، وبسبب حكم هذه الآقلية وطريقة مراكمتها للربح سواء عبر الحروب أو النهب أو التفجيرات لم يعودوا يمتلكون شيئاً، فبعد فقدان الودائع والمدّخرات وحصيلة بيع قوّة العمل لسنوات في «الحرب» التي خاضتها ضدّهم المصارف يفقدون الآن منازلهم وحياتهم، والأثر الرمزي الباقي لهم من بيروت المدينة، كما كانت قبل الحرب، أي قبل أن تأتي سلطة أمراء الحرب على كلّ التراكم الاجتماعي الذي أنجزته العاصمة، بتفاوت بين مرحلة وأخرى، ولكن بما يليق بأهلها، لا بهذه الطغمة التي تقود البلاد من هاوية إلى أخرى.

* كاتب سوري

(هيثم الموسوي)

بيروت... مرفأ ومدينة

محمد سيد رصاص *

لم تكن صدفة أن يكون إنشاء مرفأ بيروت عام 1887، سابقاً بعام واحد لإنشاء ولاية بيروت التي امتدّت من شمال يافا حتى الأناضول. كانت المكانة الإدارية للمدينة، بوصفها مركزاً لنطاق جغرافي مهمّ، ومكانتها السياسية باعتبار إنشاء الولاية هو ردّ عثماني على متصرّفية جبل لبنان التي انتُزعت كإدارة ذاتية للمسيحيين هناك، بضغط دولي عام 1861، مرتبطتان بشكل عضوي مع إنشاء المرفأ. هنا، كلّ المرافئ تُقاس بوظيفتَيْها الاقتصادية تجاه ظهيرها البري. لم يكن مرفأ بيروت من أجل نطاق المتصرّفية الجغرافي كجبل مطل على البحر، بل من أجل البر الذي يمتد بين المركزين الاقتصاديين في دمشق وحلب. لم تكن صدفة أن تتولّى «الإدارة العامّة لسكك الحديد» عام 1903 إدارة مرفأ بيروت، فهو مرفأ يعتمد في الوارد والصادر على دمشق وحلب، حيث تمّ مدّ خط دمشق ـ رياق ـ بيروت عام 1895، ثمّ امتدّ هذا الخط إلى حلب عام 1906، عبر خط رياق ـ حمص ـ حماة. هو مرفأ كانت مكانته تقلّ وتزداد وفق منافسة مرافئ أخرى على خدمة نطاق دمشق ـ حلب، مثل مرفأ حيفا ـ عكا (وهما مرفأ واحد عملياً في الزمن العثماني) مع أرجحية لعكا في الأهمية بعكس فترة ما بعد عام 1948) الذي تمّ وصله بسكة حديد الحجاز عام 1908، أو مرفأ الإسكندرون الذي تمّ اكتمال تشييده عام 1911، وكان مصمَّماً ليكون مرفأً لحلب ولمنطقة كيليكيا. لم يكن البيارتة في غالبيتهم مع إعلان الجنرال غورو، عام 1919، وفي وقت كان فيه الفريق الإصلاحي داخلها ليس فقط محاصَراً، بل أيضاً يتلقّى الضربة تلو الأخرى، إلى أن خُسِم الصراع بخروج مدير عام وزارة المالية الذي كان يقود المعركة تقريباً، من الحكم. الهزيمة التي حصلت داخل المؤسّسات انعكست فوراً على الشارع، حتى في ظلّ غياب مجموعات تعمل فيه مباشرة، وهو ما جعل استمرار الأشكال الأخرى التي يمكن من خلالها تعويض «الخسارة الأساسية» صعباً، إن لم نقل مستحيلاً.

ثنائية القديم والجديد

هذا كان يحصل في ظلّ التوازنات القديمة نفسها، فحكومة حسّان دياب المستقيلة لم تمثّل قطيعة مع قوى «الطائف»، بل حظيت بتأييد جزء منها، كون هذا الجزء لا يمانع تحسين شروط المعركة مع المصارف، بحيث يقوّي موقعه داخل السلطة على حساب الفريق الآخر الذي يبدو أقرب إلى المنظومة المالية والمصرفية التي يقودها حاكم مصرف لبنان. انعكس ذلك بدوره على المجموعات في 17 تشرين، التي كانت تفضّل حصول المواجهة مع السلطة بشعارات تبتعد قدر الإمكان عن مناهضة النموذج الاقتصادي، الذي لم يكن لها مصلحة في تقويضه، أي بخلاف موقف نظيرتها اليسارية الأكثر حضوراً وشعبية داخل الحركة. وهو ما أضعف وحدة هذه المجموعات في محطّات لاحقة كثيرة، خصوصاً في لحظة اشتداد الصراع مع المصارف، إذ ازداد الفرز داخلها، ومعه ازدادت فاعلية الجناح الذي اكتسب بفضل نشاطه على الأرض ضدّ المصارف في لحظة تغوّلها على الناس وحرمانهم ودائعهم موقعاً متقدماً، أهّله لاحقاً لتمثيل أكثرية المحرومين من استعمال ودائعهم وأموالهم المحجوزة في البنوك. فشهدنا في هذا السياق انفراد أفرزها هذا الشكل الجديد من المواجهة، وأهمّها على الإطلاق ظاهرة الشبّان الذين تطوّعوا لحماية ودائع الناس، عبر اقتحام المصارف وتهديدها، إن لم تُقدِم على تحرير الودائع. وسواءً مورس العنف في هذه الحالات أم لا، فإنّ مجرّد إشهاره والتلويح به بهذه الطريقة يعني ليس فقط فقدان هذه المؤسّسات التي كانت تموّل عمل النموذج لمصداقيتها لدى الأكثرية، بل أيضاً التشكيك بوظيفتها ذاتها، والتي تتجاوز الصراع المحلّي نفسه لتصل إلى الدور الذي تؤدّيه البنوك، عبر عمليات الإقراض والادّخار بالفائدة في النظام الرأسمالي نفسه. صحيح أنّ هذه الأعمال الرمزية لم تستمرّ طويلاً، بسبب ظروف البلاد، ولكنّها أتاحت لجزء يسير من اللبنانيين اختبار أشكال جديدة ليس فقط من الوعي المصحوب بمقاومة اجتماعية شديدة، بل أيضاً من الانتماء، بمعناه الأوسع. حيث بدا حزب المتضرّرين من احتيالات المصارف وسرقاتها، أقلّه في تلك المرحلة، وكأنّه الحزب الأكبر في لبنان، وهي «استعارة» قد تفيد في فهم عمق التحوّل الذي أصاب علاقة هؤلاء ليس فقط بالمصارف، بل أيضاً بأحزابهم وانتماءاتهم السياسية نفسها. الولاءات القديمة، القرابية والزبائنية لم تتنهِ بهذا المعنى، بل تراجعت قدرتها ليس فقط على تأمين حصّتها من الريع، بل أيضاً على ترجمته إلى علاقة مادّية مع الناس الذين تؤمّن لهم هذه القيادات عبر الحضور في الدولة ومؤسّساتها، أو حتى في القطاع الخاص سُبُل الحياة والعيش و.. إلخ. انقطاع الريع أصاب هذه المنظومة في مقتل، وأدّى إلى تراجع كبير في أشكال هيمنتها، سواءً سياسياً أو اقتصادياً واجتماعياً، قبل معاودة تزخيمها لاحقاً حين بدأت تظهر شبكات الإغاثة الخاصة بالطوائف، كبديل من انهيار الخدمات التي تقدّمها الدولة، وعدم قدرتها على تمويل إنفاق اللبنانيين على احتياجاتهم الأساسية. الخطورة المرحلية التي مثّلها هذا الوعي لدى قطاعات متزايدة من اللبنانيين ـ وهو وعي طبقي بالتعريف ـ على القوى القديمة، سواءً التي تؤيّد الطائف أو تعارضه، يفسّر السرعة التي حدث فيها الانقلاب، ليس فقط على خطة الحكومة لإعادة الهيكلة وتوزيع الخسائر بعد تحديدها، بل كذلك على أيّ

كانت بيروت العاصمة المالية للمنطقة. إذا أراد المرء تلخيص بيروت، بين عامي 1887 و1975، كمدينة من حيث دورها الاقتصادي، فإنّ هذا الدور لم يأتِ من النطاق الجغرافي اللبناني المُعلَن مع غورو، عام 1920، بل من دورها بالنسبة إلى ظهيرها البري السوري أولاً، كمرفأ ثم كممرّ استثماري في الستينيات، أخذ شكلاً مصرفياً و بيوتات لتجارة الذهب وصياغته، وبعد ذلك أوائل السبعينيات، كمصرف ومصيَف للخليجيين. ترافق هذا ـ وخصوصاً بعد انهيار الصحافة السورية، عام 1958، حيث كان أحمد عسة في الخمسينيات في «الرأي العام»، أهم من غسان تويني في «النهار»، وكامل مروة في «الحياة» ـ مع تحوّل بيروت في الستينيات، إلى عاصمة للصحافة العربية، وعاصمة لدور النشر العربية. على الأرجح، أنّ رفيق الحريري، بين عامي 1992 و2004، كان يفكّر في استعادة بيروت كعاصمة مالية للمنطقة بعد حطام الحرب الأهلية اللبنانية، 1975 ـ 1990. استند الحريري إلى توافق أميركي ـ سعودي ـ سوري، في «اتفاق الطائف» عام 1989، وإلى مناخات تسوية للصراع العربي ـ الإسرائيلي مع «مؤتمر مدريد»، عام 1991. كان يفكّر في حلم الإسرائيلي في أن يذهب بالسيارة أو القطار، عبر لبنان وسوريا، إلى أوروبا، وفي أن يستعيد مرفأ بيروت دوره الاقتصادي بالنسبة إلى سوريا زمن الانتداب الفرنسي، وأن يكون مرفأ الترانزيت الرئيسي لمنطقة الخليج وللعراق (ناسياً مرفأي اللاذقية وطرطوس). لم ينجح مشروع الحريري، مع فشل مسار التسوية في ربيع وصيف 2000، بالنسبة إلى المسارَين السوري والفلسطيني، ومع بدء الصدام السوري ـ الأميركي، بسبب العراق المغزو والمحتل عام 2003، عندما اتجهت واشنطن عام 2004، عبر القرار 1559، نحو تدفيع دمشق في بيروت ثمن مخالفتها في بغداد، ثمّ اتجاه واشنطن، عبر حرب تموز 2006، إلى محاولة تدفيع طهران في بلاد الأرز ثمن اتّجاهها نحو استئناف برنامج تخصيب اليورانيوم الإيراني، منذ شهر آب/ أغسطس 2005. منذ خريف 2004، أصبح لبنان ساحة لمجابهة أميركية ـ سورية، حتى خروج القوّات السورية من لبنان في 26 نيسان/ إبريل 2005، وهو منذ 12 تموز/ يوليو 2006، وحتى الآن، ساحة لمجابهة أميركية ـ إيرانية، مع تقطيعٍ زمنيين لهدنتين بين واشنطن وطهران، امتدت الأولى من اتفاق الدوحة عام 2008، حتى إسقاط حكومة سعد الحريري عام 2011، والثانية من التسوية الرئاسية في عام 2016، حتى سحب ترامب للتوقيع الأميركي على الاتفاق النووي الإيراني، في 8 أيار/ مايو 2018. كتكثيف: لم تنجح بيروت، منذ عام 1992، في أن تستعيد من دبي مركز العاصمة المالية للمنطقة الذي كانته في الستينيات حتى عام 1975. فقدت بيروت مركز عاصمة الصحافة العربية. فقدت بيروت مركز عاصمة دور النشر العربية. بسبب عدم موافقة الخليجيين على التسوية الرئاسية اللبنانية التي أتت حصيلة عام 2016 للاتفاق النووي الأميركي ـ الإيراني عام 2015، لم تعُد بيروت مركزاً لاصطياف الخليجيين ولا لإيداعاتهم المالية المصرفية ولا لاستثماراتهم. في فترة 1992 ـ 2020، لم يعُد مرفأ بيروت ليكون المرفأ الرئيسي في المنطقة لتخديم البر الشامي، كما كان في فترة 1887 ـ 1950، ولم يستطع أن يكون مرفأً للترانزيت الرئيسي نحو البرّين العراقي ولا الخليجي. ربما تفجير 4 آب/ أغسطس 2020، يعطي صورة عن مآلات، ليس فقط عاصمة، وإنما دولة وكيان قام بإعلانه الجنرال غورو قبل قرن من الزمان ناقص أربعة أسابيع. الغريب أن يفكّر رأس الدولة الفرنسية في المجيء إلى بيروت، في يوم الذكرى المئة لذلك الإعلان، من دون أن يفكّر في ما قاله وزير الخارجية اللبناني المستقيل ناصيف حتّي عن لبنان كـ«دولة فاشلة»، إلّا إذا كان رئيس فرنسا يفكّر في تحصيل نفوذ في دولة منهارة، لدولة مثل فرنسا لم تعد دولة عظمى ولا كبرى.

* كاتب سوري

> **استند الحريري إلى توافق أميركي ـ سعودي ـ سوري في «اتفاق الطائف» وإلى مناخات تسوية للصراع العربي ـ الإسرائيلي مع «مؤتمر مدريد»**

المراوحة في الفشل والكوارث!

سعد الله مزرعاني*

البديهيات المتعارف عليها في عالم السياسة والأفعال وردود الأفعال، في كلّ دول العالم تقريباً، هي غيرها في لبنان. تصبح الفجوة هائلة حين يتعلّق الأمر بمقارنة الوضع اللبناني بوضع بلدان يتغنّى كثيرون من أهل السلطة خصوصاً، بأنّهم ينتمون إليها أو يتشبّهون بها. يعاني لبنان، الدولة والشعب والنظام السياسي، من أزمة شاملة وجذرية ومدمّرة. يفترض ذلك بشكل عفوي، طبيعي ومنطقي، البحث في الأسباب الفعلية، بعمق وبمسؤولية وموضوعية، ومن ثم محاولة استخلاص النتائج الضرورية، من أجل المعالجة التي تستجيب للأساسي من المصالح الوطنية والشعبية، في الحقول المعنيّة الأساسية: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية والتربوية... لا يحصل ذلك، رغم تناسل الأزمات وتتابع الكوارث وآخرها كارثة الانفجار الرهيب ـ الفضيحة في مرفأ بيروت، ورغم أن الآتي من الكوارث والمصائب والخسائر قد يكون أفدح وأدهى! الذي يحصل هو، وعلى صعيد كلّ أطراف السلطة تقريباً، مراوحة في اجترار وعلك المواقف والتوجّهات السابقة. يقترن ذلك بمقدار، يقلّ أو يكثر، من المناورة والشطارة ومحاولة الضحك على الذقون. تُراوح استنتاجات الجميع، دائماً وأبداً، في نطاق «الصيغة» القائمة: صيغة المحاصصة الطائفية والمذهبية وما أنتجته: الديولات، والنهب، وعدم المحاسبة، وانتهاك الدستور والقوانين والسيادة... وما يؤدّي إليه ذلك من الانقسامات وتعطيل المؤسّسات وازدهار الممارسات الميليشياوية... إلى التبعية للخارج والارتهان له، من أجل الحفاظ على المكاسب أو الحصول عليها.

في مجرى ذلك، يتركّز جهد أطراف السلطة المورّعين بين الموالاة و«المعارضة»، على استغلال كلّ صغيرة وكبيرة (ولو كانت بحجم كارثة عظيمة)، من أجل تحقيق مكاسب من ضمن منافسة مغلقة ومستأثِرة. جُل هذه المكاسب يتركّز في تعزيز النفوذ السياسي، وفي الكسب غير المشروع الذي هو، عموماً، أشبه بسرقة موصوفة ووقحة، يحميها التضامن «المهني»، وتبرّرها سياسة التقاسم ذات القناع الطائفي والمذهبي، وتكرّسها وتعزّزها التبعية للخارج.

أبرز ما يندرج في هذا النطاق، ما يعتبره رئيس الجمهورية توحيد مركز القرار (على غرار ما كان قائماً قبل عام 1975 ضمناً). المقصود استعادة صلاحيات رئاسة الجمهورية وإلغاء إصلاحات «الطائف» التي ظلّت معطّلة طيلة ثلاثة عقود، ليتحوّل «الإصلاح والتغيير» «العونيان» إلى مجرّد استعادة غلبة طائفية زالت كما مبرّراتها: كغلبة سياسية واقتصادية، وكدور خارجي (الانتداب الفرنسي)، وكأساس طائفي (زوال الحصرية المارونية الدرزية بقيام «لبنان الكبير» عام 1920). ثم، بالطابع الفئوي والاستئثاري لممارسة هذه الغلبة، فضلاً عن تحوّلات السياسة في المنطقة والعالم، وتحوّلات الاقتصاد والمصالح... وأخيراً التحوّلات الديموغرافية المتواصلة والمُختلّة على نحو مطرد...

في النطاق نفسه، مع هامش أوسع في المناورة، تصدر دعوات لتطبيق الدستور. هي دعوات أُطلقت، دائماً، للتخويف والابتزاز وليس لسلوك طريق احترام الدستور والالتزام بواجب تطبيقه. وهي، بالتالي، كانت تتبخّر وتزول عندما تحقّق غرضها في تبادل الصفقات أو الصفعات، أو توزيع المغانم أو إعادة تقاسمها... ينطبق ذلك على دعوة كلّ من الرئيس نبيه بري (رئيس المجلس)، ورئيس الحزب التقدمي وليد جنبلاط اللذين طالبا، أخيراً، (لأول مرة بالنسبة لجنبلاط)، بقانون انتخاب غير طائفي!

ثمة، في الخانة نفسها، مَن هم ساكتون لا يعنيهم الإصلاح من قريب أو بعيد، حتى من قبيل المناورة وتحقيق المكاسب. بين هؤلاء وسواهم، يقف فريق المقاومة على رأس الجبل يراقب التوازنات: قلقاً، بشكل لم يُعد مبرراً، من كل تغيير جدي، سياسي واقتصادي وحتى إداري، لمصلحة الأكثرية الشعبية. هاجس الأولوية والحماية حوّله إلى فريق حارس للأسس والتوازنات التقليدية، فيما هو، في حقل المقاومة ضد العدو الصهيوني وحمايته، يخوض صراعاً جذرياً بل ثورياً بكلّ معنى الكلمة! وهو يتحمّل، من أجل النهوض به وتأمين استمراريته، كلّ الصعوبات والتضحيات والعقوبات...

طبعاً، تندرج، في هذا السياق من المراوحة في نطاق الحفاظ على صيغة المحاصصة الطائفية، رغم بعض التمويهات، كلّ التدخّلات الخارجية، العربية والدولية وما يواكبها من تأييد قوى وجماعات، لا تتورّع، دعماً لتدويل كامل للأزمة، عن رفع شعار استدعاء التدخّل الخارجي لإنقاذ لبنان. لا تخرج المبادرة الفرنسية التي أطلقها الرئيس إيمانويل ماكرون، في حديثه الملتبس، عن ضرورة العبور إلى «نظام جديد» عن السياق المشار إليه. لم يأتِ الرئيس الفرنسي ليعتذر من الشعب اللبناني عن دور سلطات بلاده المنتدبة في فرض المحاصصة الطائفية في لبنان، بل لترقيع الوضع الكوارثي الذي سببته، والعودة للاحتفال بإنجاز مزعوم لم ترتضِه فرنسا لنفسها حين اختارت النظام العلماني الأكثر جذرية في العالم!

هكذا، ليس في جعبة أطراف السلطة، الأساسيين وغير الأساسيين، ما يمكن أن يشكّل ردّاً ملائماً يرتقي إلى حجم الكارثة التي ضربت لبنان ولا تزال تهدّد بالمزيد من الخسائر التي قد تصيب الكيان اللبناني نفسه: في وحدته وشروط بقائه السياسية والاقتصادية والأمنية... حتى دعوات، مثل تلك التي صدرت عن مسؤولي حزب الله، بحذر وبخفر، كعقد «مؤتمر تأسيسي» لمعالجة الأزمات اللبنانية، قد جرى التعامل معها بوصفها محاولة لإعادة النظر بـ«المناصفة» الطائفية المؤقتة في الدستور، لمصلحة «المثالثة» بحيث يصبح التمثيل في المؤسسات السياسية والإدارية وفق معادلة الثلثين للمسلمين والثلث للمسيحيين!

هذا بالإضافة إلى أنه في الخارج، الأميركي الغربي خصوصاً، ثمة أولوية لا علاقة لها بمعالجة الأزمات والكوارث، إنما بدعم مشروع الاغتصاب والتوسّع الصهيوني: إمعاناً في الاعتداء على حقوق شعب فلسطين، وبغرض الهيمنة على المنطقة. سلاح المقاومة هو العنوان المحوري في ذلك، وبسببه تفرض العقوبات أو تعرض الرشاوى والمساعدات!

لا يناقش أي متابع موضوعي ومسؤول في أنّ حجم الأزمة قد كشف فشل وانهيار وإجرام النظام السياسي وصيغته التحاصصية الطائفية، وليس فقط مسؤوليته عن والخسائر والنكبات والأزمات. هذا استنتاج هو أساس كلّ تناول صحيح وسليم ينطلق من الحقيقة والواقع، وكذلك من المصالح الوطنية اللبنانية. السهام ينبغي أن توجه إلى صيغة النهب بالمحاصصة الطائفية للتخلّص منها لمصلحة بديل مدني يزيح فطريات الدويلات الميليشياوية والتابعة والتي منعت قيام وطن ودولة. ذلك هو أساس البرنامج الوطني، ومن أجل بلورته في مشروع وصيغة، ينبغي أن تُبذل كل الجهود وتُشتق كل المبادرات...

كل نقاش لا يبدأ من هنا، خاطئ أو مغرض، إذا لم يكن سيء المقصد ومشبوهاً!

* **كاتب وسياسي لبناني**

على الغلاف

واصلت إسرائيل، أمس، تكذيب الادّعاءات الإماراتية في شأن إلغاء خطّة الضمّ بموجب «اتفاق السلام» المُعلَن بين أبو ظبي وتل أبيب. وفيما بدأ بنيامين نتنياهو، سريعاً، استثمار الحدث داخلياً في مواجهة خصومه السياسيين، بدا لافتاً تقليل المُعلّقين الإسرائيليين من أهمية الاتفاق، ووصفهم إيّاه بـ«الإنجاز المتواضع»، وعدّهم تعليقات نتنياهو ودونالد ترامب عليه «تضخيماً إلى حدّ خيالي»

«إسرائيل» متمسّكة بخطّة الضم
في انتظار بقيّة العرب

يحيى دبوق

تنتظر إسرائيل مملكة البحرين وسلطنة عمان، لتُنجزا بدورهما «اتفاقاً تاريخياً» معها، على غرار ما فعلته الإمارات، مستبشرةً بأن هذه الاتفاقات ستكون مقدّمة لانضمام دول عربية وإسلامية أخرى إلى ركب التطبيع، وفي مقدّمتها السعودية التي يبدو أنها تُفضّل الانتظار منعاً لتشويش عملية انتقال السلطة فيها، والمقدّر أن لا تكون بعيدة. وردّاً على مواقف التأييد والدعم الصادرة من عدد من «دول الاعتدال» في المنطقة، شكر رئيس حكومة العدو، بنيامين نتنياهو، «الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي ومملكة البحرين وسلطنة عمان، على دعمهم اتفاق السلام التاريخي مع دولة الإمارات»، معتبراً في تغريدة على «تويتر» أن «هذا الاتفاق سيُوسّع دائرة السلام، ويعود بالفائدة على منطقة الشرق الأوسط بأسرها».

وفي وقت عمّ فيه الاحتفال تل أبيب بتحقيق المصالح الإسرائيلية عبر الاتفاق مع أبو ظبي، وإن خلافاً لمصلحة الفلسطينيين الذين أجمعت التعليقات العبرية على أنهم أوّل الخاسرين، بدا لافتاً تركّز التطلّع الإسرائيلي في الموازاة إلى موقف السعودية، التي يمكن فهم تريّثها في هذه المرحلة، علماً بأن عدداً من المعلّقين، ومن بينهم رئيس «معهد أبحاث الأمن القومي» اللواء عاموس يدلين، اعتبروا أن «(ولي العهد السعودي الأمير) محمد بن سلمان أيّد الاتفاق بين الإمارات وإسرائيل، وإن جاء تأييده عبر الصمت والامتناع عن التعليق إلى الآن».

على أن إخراج العلاقات بين إسرائيل ودول «الاعتدال العربي» إلى العلن، وبشكل رسمي عبر اتفاقات وتحالفات، لا يضيف أيّ عامل وازن جديد من شأنه تغيير المعادلات القائمة في وجه المحور المقاوم للهيمنة الأميركية والإسرائيلية، لكون تلك العلاقات قائمة بالفعل، وجلّ ما حدث هو إشهارها. وكما ورد في صحيفة «هآرتس» أمس،

> **«هآرتس»: لا شيء استراتيجياً في ما حدث، وإن ورد التوصيف على لسان نتنياهو**

فإن التطبيع مع الإمارات إنجاز لا يمكن المجادلة في شأنه، لكن اللافت في سياقاته هو تضخيمه إلى حدّ خيالي من قِبَل نتنياهو والرئيس الأميركي دونالد ترامب. ورأت الصحيفة أن «المؤكد أن إقامة علاقات رسمية مع إمارة خليجية تسعد الإسرائيليين، لكنها إنجاز متواضع»، معتبرة أن «توصيف الاتفاق مع الإمارات على أنه اتفاق استراتيجي يشبه في وزنه وتأثيره الاتفاق مع الجانب المصري عام 1979، هو مبالغة، وجلّ ما حدث هو قرار شجاع بإخراج العلاقات إلى العلن»، علماً بأنها كانت شبه معلنة. وأضافت «هآرتس» أن «لا شيء استراتيجياً في ما حدث، وإن وردت الكلمة على لسان نتنياهو، وشدّد عليها».

تعليق الصحيفة لا يلغي، بطبيعة الحال، الفائدة الاستراتيجية لإسرائيل من الاتفاق مع الإمارات على مختلف الصعد، الأمنية والسياسية والاقتصادية، وكذلك المساهمة الإماراتية في تصفيع القضية الفلسطينية وتهميشها، لكن تركيز «هآرتس» على تبعات الاتفاق على الداخل الإسرائيلي، وهو عيْنة من التعليقات العبرية، يؤكّد من جديد أن الاتفاق مع الجانب العربي بات في الوعي الإسرائيلي «تحصيل حاصل»، ولعلّ أهم ما فيه أنه يدفع إلى البحث أولاً في تأثيراته على الخصومة السياسية في إسرائيل، قبل أيّ تأثير آخر. في هذا السياق تحديداً، وفي إطار استثماره الحدث في مواجهة خصومه السياسيين، يأتي استعجال نتنياهو إتمام ترتيبات ما بعد الاتفاق مع الجانب الإماراتي، إذ طلب من رئيس «مجلس الأمن القومي»، مائير بن شابات، العمل على إنهاء التحضيرات اللازمة بين الجانبين، والتنسيق مع كلّ الجهات المعنية قبل اللقاءات العلنية المنويّ تسريع وتيرتها، بدءاً من اللقاء الأول المفترض أن يتمّ في العاصمة الأميركية واشنطن برعاية ترامب.

تبقى الإشارة إلى أن تل أبيب واصلت، أمس، دحض الإشارات الواردة من الجانب الإماراتي عن إلغاء خطة الضمّ في سياق «الاتفاق التاريخي» مع العدو. وبعد تأكيد نتنياهو بنفسه أنه تمّ تعليق الضم لا إلغاؤه، زكّر حزب «الليكود» على التزامه العقائدي بضمّ الضفة الغربية إلى الكيان. وقال رئيس مركز الحزب، عضو «الكنيست» حاييم كاتس، إنه «إلى جانب التحدّيات الاقتصادية والأمنية العديدة التي تنتظرنا، فنحن لا نتخلّى عن مبدأ توسيع السيادة الإسرائيلية وفرض الاستيطان اليهودي على جميع أجزاء أرض أجدادنا. وسنعمل على تحقيق هذه الرؤية بهدف إحداث تغييرات فورية في هذا المجال». لكن مع ذلك، لم يفلح حديث تعليق الضم لا إلغائه في تهدئة اليمين المتطرّف في إسرائيل، والذي شنّ حملة عنيفة على نتنياهو، واتّهمه بتفضيل اتفاق سلام مع دولة عربية بعيدة على حساب «أرض الأجداد» في الضفة. ومن المحتمل أن تؤثر هذه الحملة إيجاباً على علاقات نتنياهو مع حزب «أزرق أبيض»، وتدفعه إلى إيجاد تسويات تنهي أو تؤجّل الخلافات معه؛ إذ إن أخر ما يريده رئيس الوزراء الآن انتخابات مبكرة، في ظلّ المزايدة من خصومه في المعسكر الواحد على الصوت اليميني.

إخراج العلاقات إلى العلن لا يضيف أي عامل وازن جديد من شأنه تغيير المعادلات القائمة (أ ف ب)

جهر بخيانة مكشوفة

وليد شرارة

أبلغُ رد على اتفاق الخيانة الإماراتي مع إسرائيل برعاية أميركية جاء من المصلين في المسجد الأقصى، الذين رفعوا صورة محمد بن زايد وعليها كلمة خائن. قد تستخف نخب الارتزاق بهذا الموقف، الذي يعبّر عن اقتناعات الاتجاه الرئيسي بين جماهير الأمّة من المحيط إلى الخليج، بل ومن طنجة إلى جاكرتا، إلا أن المهم في مواجهة مثل هذا التطور هو ليس مناقشة حججها الفارغة ومنطقها المتداعي، المهم بالنسبة إلى المعنيين بمستقبل قضية فلسطين والصراع مع الكيان الصهيوني والهيمنة الأميركية وأذنابها المحليين، من مشيخات وممالك اخترعها الاستعمار في قلب جزيرة العرب، هو القراءة الصحيحة لخلفيات هذا الاتفاق والاعتبارات الفعلية لأطرافه، ولتداعياته على المعركة الدائرة بين قوى المقاومة في الأمة وأعدائها. آلة الحرب الإعلامية- الدعائية للجبهة المعادية تروّج للاتفاق باعتباره حدثاً «تاريخياً»، «زلزال جيوسياسي ضرب الشرق الأوسط»، بحسب عنوان المقال الأخير للمبشّر الأميركي الصهيوني توماس فريدمان.

في الواقع، نحن أمام عملية استعراضية، تكثر مثيلاتها في سياق عالمي تحاول فيه الدول الغربية التعويض عن ضمور هيمنتها وتراجع قدرات وكلائها المحليين بتنظيم مهرجانات مشهدية، يتكفل «التطبيل» الإعلامي الذي يرافقها بتقديمها على أنها دليل حسي على استمرار تحكمها في مجرى الأحداث. اتفاق التطبيع الكامل بين دويلة الإمارات وإسرائيل نموذج جديد على هذا الفن الاستعراضي، يجهر بطريقة دراماتيكية بخيانة مكشوفة منذ زمن طويل للقاصي والداني من أبناء الأمّة، لكنه يشي في الآن نفسه بمصاعب وتحديات يواجهها جميع الأطراف المشاركين فيه وحاجتهم إلى انتصارات وهمية، تغطي عجزهم عن تغيير موازين القوى، المتحولة لغير مصلحتهم في الميدان.

سعي الجيل الجديد من النخب الحاكمة في الإمارات والسعودية والبحرين وعمان في الانتقال، بعلاقات أنظمتها بإسرائيل، من القطاع إلى العلن، تعزّز بقوة بعد موجة الانتفاضات الشعبية التي شهدتها المنطقة العربية سنة 2011، وما نجم عنها من شعور بالتهديد الوجودي لدى هذه الأنظمة. قبل هذا التاريخ، منذ بداية ستينيات القرن الماضي، تعاونت هذه الأخيرة مع الولايات المتحدة وإسرائيل للتصدي لصعود أي قوة إقليمية مستقلة، مرشحة لأن تتحول قطباً جاذباً لقسم من دوله وشعوبه، ولأن تعدّل موازين القوى فيه باتجاه متناقض مع الهيمنة الأميركية ووكلائها المحليين. الأسباب نفسها دفعت المشيخات والإمارات والممالك الخليجية إلى محاربة مصر الناصرية في الستينيات، والعراق في أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات، وإيران منذ انتصار ثورتها، ولكن بشراسة أكبر منذ بداية الألفية الثانية. قيام هذه الأنظمة وبقاؤها ارتبطا بالهيمنة الغربية والأميركية، وهي لم تتورع عن الاندراج في مخططاتها، جنباً إلى جنب مع إسرائيل، لمواجهة أي مشروع استقلالي ذي أفق إقليمي، عربياً كان أو إسلامياً. هذا سرّ عدائها اليوم لإيران وحتى لتركيا إردوغان. لكن مشهد هروب الرئيس التونسي بن علي وسقوط نظيره مبارك وانتشار موجة الانتفاضات الشعبية في طول المنطقة وعرضها في ظل تخبّط أميركي وغربي، وعجز عن دعم «الحلفاء» هو الذي أصابها بالذعر. في هذه اللحظة المفصلية بالذات تفتقت عبقرية الجيل الجديد من حكامها عن خيار «ورقة الأمان الإسرائيلية».

> **الفرضية الرئيسية التي تأسس عليها هذا الخيار هي أن إسرائيل تمتلك في الولايات المتحدة منظومة مؤيدة**

الفرضية الرئيسية التي تأسس عليها هذا الخيار هي أن إسرائيل تمتلك في الولايات المتحدة منظومة مؤيدة لها، وليس مجرد لوبي، وأن قدرتها على التأثير على سياستها الشرق أوسطية هائلة بكل ما للكلمة من معنى. إضافة إلى ذلك، فإن هذا الجيل الجديد مقتنع بأن إيران وحلفاءها في الدرجة الأولى، تليها في الدرجة الثانية تركيا وحلفاؤها، هم أعداء وجوديون مشتركون لهم وللإسرائيل. أخيراً، فإن هذا الجيل المعولم الذي ينظر إلى روابط العروبة والدين على أنها من مخلفات ماض بائد يرى في الشراكة مع إسرائيل، القوة العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية، فرصة لتعظيم قدرات نظمه. عمل هؤلاء على توثيق أواصر الصلة مع الكيان الصهيوني ونخبه لتأكيد أنهم «كنز استراتيجي» لإسرائيل، كما وصف الوزير الصهيوني الأسبق بنيامين بن اليعازر الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك بعد أيام من سقوطه. ومن الواضح أنهم نجحوا في هذا الأمر. وحتى دونالد ترامب اعترف لهم بهذا «الجميل» عندما رد على منتقديه على دعمه لمحمد بن سلمان بعد فضيحة قتل الصحافي جمال خاشقجي، مذكّراً بدور الأوّل في الوقوف إلى جانب إسرائيل ضد الذين يريدون إزالتها. التحالف الأميركي-الإسرائيلي-الإماراتي-السعودي لم يعد سرّاً بالنسبة إلى أحد، لكن الحرص على تظهيره، مع الإمارات بداية، يرتبط بحسابات سياسية داخلية لدى أطرافه الثلاثة، وبرغبتهم في تسجيل نجاح وهمي ضد محور المقاومة عبر الاحتفال بتحقيق مثل هذا «الاختراق»، بينما هم فشلوا في المعركة المركزية معه، المتمحورة حول مراكمته وتطويره لقدرات عسكرية وصاروخية تسهم في تغيير تدريجي ولكن متواصل لموازين القوى في المنطقة لغير مصلحتهم.

ترامب، الذي يرى فرص إعادة انتخابه تذوي، والعاجز عن القيام بأي إنجاز داخلي يحول دون ذلك، يبحث بدلاً منها عن إنجازات خارجية لعلها تساعد في وقف انحدار شعبيته المتسارع. نتنياهو، المتهم بالفساد، والذي يواجه احتجاجات لم يسبق أن واجه رئيس وزراء صهيوني مثيلاً لها منذ إنشاء الكيان، إلى درجة دفعت البعض إلى الحديث عن احتمالات حرب أهلية، يأمل أن يخفف من حدتها عبر إبرار نجاح ما في الخارج. الإمارات امتثلت لطلبات الراعي الأميركي والحليف الإسرائيلي، لكنها بدورها متورطة في نزاع مفتوح مع تركيا وحلفائها، وليبيا أبرز ساحاته حالياً، وهي طرف في المحور المعادي لإيران على رغم محاولاتها لتطبيع خجول معها صدّته الولايات المتحدة. هي تنصاع للطلبات الأميركية والإسرائيلية في مقابل حمايتها من خصومها الأقوياء. أطراف مأزومون، لم يتمكنوا من الانتصار في معركة الصواريخ المركزية ضد محور المقاومة، يحتفون بالجهر بما كان معلوماً. أما محمد بن زايد، فعليه التوقف والتفكير ملياً في ما قد يترتب على تصنيفه خائناً في باحات الأقصى، في القدس، عاصمة الأمّة.

اليمن

سقوط إمارة «القاعدة» في البيضاء
اشتداد الخناق على مأرب

تمكّنت قوات صنعاء، في عملية عسكرية استمرّت عدّة أيام وانتهت الخميس الماضي، من إسقاط إمارة البيضاء التابعة لتنظيم «القاعدة»، بعد سيطرتها على منطقة يكلا في مديرية قيفة، والتي تُعدّ المعقل الرئيس للتنظيم منذ عشر سنوات، وذلك بإسناد من قبائل المحافظة

صنعاء - الأخبار

في إطار سعيها إلى تضييق الخناق على قوات الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، في محافظة مأرب، التي تُعدّ آخر معاقل تحالف العدوان شمال اليمن، شنّت قوات الجيش اليمني واللجان الشعبية هجوماً على منطقة قيفة التابعة لمديرية القريشية، شمال غرب محافظة البيضاء، التي تعتبر معقلاً رئيساً لتنظيمَي «القاعدة» و«داعش».

وتوزّع الهجوم على ثلاثة محاور: قانية باتجاه الكمب وجبل الثور، رداع باتجاه جبل نوفل يكلا، ومن ذي كالب وصولاً إلى جبل بلبل. وبعد معارك استمرّت ثلاثة أيام، استطاعت قوات صنعاء السيطرة على يكلا، آخر قرى قيفة المحاذية لمأرب، وبذلك أحكمت الطوق على قوات هادي في المحافظة المذكورة، حيث استشعرت قيادة «التحالف» خطر هذا التقدّم، معتبرة أن الجيش واللجان يهدفان من وراء عملياتهما الأخيرة في قيفة إلى التمهيد لدخول مديرية رحبة في مأرب. ووفقاً لمصادر متعدّدة، فقد نجحت قوات صنعاء في قطع الطريق الواصلة بين البيضاء ومأرب، الأمر الذي أثار الرعب في صفوف قوات «التحالف»، وخصوصاً أن «أنصار الله» أسقطت مواقع مهمة، كعقبة زعج، وقطعت طريق زعج - ذي كالب، مانعة وصول أيّ إمدادات عسكرية من مأرب.

وعلى رغم عشرات الغارات التي شنّتها مقاتلات «التحالف» على محاور تقدّم الجيش واللجان، إلا أنها لم تمنعهما من الوصول إلى مناطق سبلة خبران والحاجب وبلاد الظهرة في القريشية.

وفي نتائج العملية أيضاً، أُفيد عن مقتل أمير تنظيم «القاعدة» في «ولاية القريشية»، المدعو «أبو صريمة»، ومسؤول الإمداد في التنظيم، وهو باكستاني يدعى «أبو حفص»، وقيادات أخرى. كما تمّ أسر عدد من العناصر من جنسيات متعدّدة، كباكستان وأفغانستان ومصر والسعودية. أمّا مَن تبقّى من قيادات «القاعدة» و«داعش» وعناصرهما، فقد فرّ بعضهم إلى محافظة مأرب، فيما توجّه آخرون إلى محافظة لحج (جنوب) حيث أنشأت السعودية، أخيراً، العديد من المراكز الدينية، ولا سيما في مناطق قبيلة الصبيحة، بهدف نقل الثقل السلفي من الشمال إلى الجنوب. وسُجّل انتقال قسم ثالث إلى وادي يشبم في منطقة الصعيد في محافظة شبوة، ورابع إلى مديرية لودر في محافظة أبين.

كذلك، تمّ العثور على مستشفى ميداني تابع لـ«القاعدة» ومقرّات للتنظيم في منطقة ذي كالب الواقعة بالقرب من يكلا، ومعسكرات تدريب وتأهيل تحوي أسلحة سعودية متوسطة وخفيفة. وبحسب مصادر قبلية، فإن الهجوم الذي شنّه الجيش واللجان دفع تنظيم «داعش»، الموجود في المنطقة نفسها، إلى إسناد «القاعدة»، على رغم الخلافات الكبيرة بينهما، والتي وصلت إلى حدّ الاقتتال. وأشارت المصادر إلى أن التنظيمين كانا يتخذان تحصينات طبيعية في غايه التعقيد، لكنها سقطت تحت سيطرة قوات صنعاء في عدّة أيام. وأضافت المصادر أن الجيش واللجان اقتحما سجون «داعش» و«القاعدة»، وحرّرا عدداً من السجناء الذين أمضى البعض منهم ثلاث سنوات خلف القضبان.

يُذكر أن قرية يكلا، التي أسقطها الجيش واللجان في المعارك الأخيرة، كانت تعرّضت في الـ29 من كانون الثاني/ يناير 2017 لهجوم أميركي بطائرات من دون طيار، أعقبته عملية إنزال واشتباكات نتج عنها مقتل 14 من «القاعدة»، بينهم ثلاثة قياديين، بحسب إعلان القيادة المركزية الأميركية، فيما تحدّثت بعض المصادر عن إسقاط مروحيّتَي «أباتشي» أميركيتين، ومقتل أميركي خلال العملية. لاحقاً، تبيّن أن من بين القتلى زعيم «خلية القاعدة في شبه الجزيرة العربية» عبد الرؤوف الذهب، وشقيقه سلطان الذهب، فضلاً عن نورة أنور الحولقي (ذات الثماني سنوات) ابنة زعيم «القاعدة» في اليمن أنور العولقي، الذي قتل في غارة أميركية في العام 2011.

وفي موازاة الإنجازات التي حقّقها الجيش واللجان في محافظة البيضاء، سقط قبل أيام أحد أهمّ معسكرات ما يُسمّى «الشرعية» في محافظة مأرب، وهو معسكر الكمب وموقع حيد الثور الاستراتيجي في مديرية ماهلية جنوب المحافظة. وعلى جري عادتها في مثل هذه الحالات، وجّهت قيادات في «الشرعية» اللوم إلى أخرى بالخيانة والتنسيق مع «أنصار الله»، فيما تصاعد السخط في أوساط قبائل مراد، الموالية لـ«التحالف» والمنتشرة على تخوم مأرب، وذلك على خلفية الزجّ بأبنائها في المعارك من دون مؤازرة، والتعامل الفوقي معهم.

اقتحم الجيش واللجان سجون «داعش» و«القاعدة»، وحررا عددا من السجناء (أ ف ب)

سوريا

«التحالف» و«قسد» يحاولان شقّ صف العشائر

تعليق الدوريات المشتركة على «M4»

قالت وزارة الخارجية الروسية إن روسيا وتركيا علقتا الدوريات العسكرية المشتركة التي تنفذانها على الطريق الدولي حلب – اللاذقية «M4»، في منطقة إدلب شمال غرب سوريا، وذلك بسبب هجمات عديدة تعرضت لها الدوريات المشتركة في المنطقة، في ما يشي بتعثّر جديد يواجهه الاتفاق الذي وقّعه الرئيسان الروسي فلاديمير بوتين، والتركي رجب طيب أردوغان، في موسكو، لخفض التصعيد، بعد العمليات العسكرية التي نفذها الجيش السوري وحلفاؤه في ريفي إدلب وحلب مطلع العام الحالي.

وقالت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الروسية ماريا زاخاروفا إن «الهجمات الأخيرة من قبل المتطرفين هي السبب في تعليق الدوريات». وأضافت زاخاروفا في مؤتمر صحافي أمس: «صعّد الإرهابيون القصف على القوات الحكومية والمناطق السكنية القريبة، واستمروا في استفزازاتهم في الممر الأمني بطول الطريق M4 السريع. وعلى ذلك تم تعليق الدوريات المشتركة». ويأتي هذا القرار في ظل حديث يدور منذ أيام عن عملية عسكرية يُعدّ لها الجيش السوري وحلفاؤه في ريفي إدلب الجنوبي والغربي.

بعد موجة التصعيد العشائري، الإعلامي على الأقل، ضد «التحالف الدولي» و«قسد»، وتحميل قبيلة العكيدات الأميركيين مسؤولية الاضطرابات في ريف دير الزور الشرقي والاغتيالات التي طالت شيوخ العشائر، تسعى واشنطن و«قسد» إلى تغيير الصورة التي بلورتها التطورات الأخيرة، إذ ظهرت العشائر العربية في موقف مضاد للتحالف و«قسد». وفي هذا السياق، دعم الطرفان الأخيران اجتماعاً عشائرياً جديداً، ضم عشائر مختلفة، ووظّفاه لصالحهما ضد دمشق وطهران.

وظهرت محاولة التوظيف الأميركية من خلال الاجتماع العشائري الذي نظمه قائد «مجلس دير الزور العسكري»، أحمد أبو خولة، وحضره عدد من أبناء المنطقة الموجودين ضمن المجالس المحلية والأهلية، بدعم ورعاية من «التحالف» و«قسد». ورغم أن أبو خولة ينحدر من عشيرة البكيّر، إحدى عشائر قبيلة العكيدات، إلا أنه سعى لإظهار موقف عشائري مغاير

> تواصلت البيانات العشائرية المؤيدة لقبيلة العكيدات

للقبيلة، في محاولة لإثبات وجود قبول وتأييد لـ«التحالف» و«قسد»، بين العشائر العربية، بعد مطالبة العكيدات بخروجهم من المنطقة خلال مهلة شهر واحد.

إلا أن عدم حضور أي من شيوخ قبيلة العكيدات البارزين، وخاصة من آل الهفل، جوّف المواقف الصادرة عن الاجتماع العشائري للبكير، وجعله من دون أي وزن أو ثقل عملي، في ظل الالتفاف الواضح للعكيدات خلف مشيختهم الأكبر في بلدة ذيبان في ريف دير الزور الشرقي، والتي أعلن منها انطلاق المقاومة الشاملة ضد الاحتلال الأميركي في الأيام الماضية.

وأصدرت عشيرة البكير بياناً، بعد الاجتماع الذي عُقد في بلدة الصور في ريف دير الزور الشمالي، طالبت فيه «التحالف» بـ«إخراج القوات الإيرانية والروسية والنظام السوري من القرى التي تسيطر عليها في ريف دير الزور»، مؤكدةً «رفضها للفتنة التي حاول الكثير من الجهات تمريرها في المنطقة». وترافق البيان مع تسجيل صوتي للسفير السوري السابق في العراق، «المنشق»، نواف الفارس، والمنحدر من قبيلة العكيدات، أعلن فيه وقوفه إلى جانب «مجلس دير الزور العسكري»، مطالباً بـ«الانضمام إلى صفوف المجلس»، لتشكيل ثقل عشائري يفرض مطالب أبناء المنطقة بالقوة.

ويعلّق مصدر عشائري من ريف دير الزور الشرقي، على البيان، في حديث إلى «الأخبار»، بالتأكيد أنه «محاولة لزرع الفتنة في المنطقة، من خلال جمع عدد من الموظفين والعناصر العسكريين، والإيحاء بأنهم شيوخ ووجهاء عشائر، لتبيض صورة قسد في المنطقة». ويبيّن المصدر أن «هذه التصرفات لا تعكس موقف عشيرة البكير، الذي يقف إلى جانب مشيخة العكيدات في مطالبها بطرد قسد ومحاسبة المجرمين المسؤولين عن عمليات الاغتيال خلال شهر واحد فقط»، كما يؤكد أن «قسد لا تحظى بأي تأييد عشائري وازن في المنطقة»، مبيّناً أن «قسد سعت لصناعة شيوخ تابعين لها، ليس لهم أي حضور أو وزن في ريف دير الزور الشرقي عبر التاريخ العشائري، ومن بينهم أحمد أبو خولة... ومثل هؤلاء هم من يُقوّون قسد لتزيد من ممارساتها القمعية بحق الأهالي، في ظل استئثار الأكراد بالقرار السياسي والعسكري للمنطقة». ويؤكد المصدر أن «بيان مشيخة قبيلة العكيدات جدي، والقبيلة ستتخذ إجراءات واضحة على الأرض، في حال لم تنفذ مطالبها خلال المهلة المحدّدة».

في غضون ذلك، تواصلت البيانات العشائرية المؤيدة لقبيلة العكيدات، مع إبداء الاستعداد التام «للتلبية كل ما تطلبه القبيلة، كواجب عشائري من أبناء المنطقة تجاهها». وهو ما برز في بيان عشيرة البوعاصي، خلال اجتماع لوجهائها في قرية البجارية في ريف القامشلي، والذي أعلن «وقوف عشيرة البوعاصي إلى جانب أهلنا من العكيدات والبكارة ومساندتنا المطلقة لطرد الاحتلال الأميركي وعملائه من الجزيرة السورية»، مؤكداً «جاهزية العشيرة لتنفيذ كل ما يطلب منها كقوة رديفة تقاتل تحت راية الجيش السوري». وتبرّأ البيان «ممن يلتحق بميليشيات قسد الانفصالية»، معتبراً أن «دمه مهدور، وذلك بحسب العرف العشائري». بدوره، أكد «تجمع سورية الواحدة»، في بيان، أن «المنطقة لن تحظى بالأمان والاستقرار إلا بزوال مسببات الفوضى، التي تتمثل في الوجود غير الشرعي للقوات الأجنبية المتمثلة في الاحتلالين الأميركي والتركي». واتهم البيان قسد بـ«الانفصال عن الواقع، ورفض دعوات الحوار الوطني عبر فرض شروط مسبقة وممارسة التفرد والوصاية على مصير منطقة الجزيرة السورية».

(الأخبار)

سعى الاجتماع لإظهار موقف عشائري مغاير للقبيلة، في محاولة لإثبات وجود قبول وتأييد لـ«التحالف» و«قسد» (أ ف ب)

الترفيه في زمن «كورونا»: «سياحة الفقراء» تزدهر

في ظلّ تفشّي وباء «كورونا»، وصعوبة الأوضاع الاقتصادية، تتنامى «السياحة الشعبية» في سوريا بشكل أكثر انضباطاً وتنظيماً، مع لجوء البسطاء إلى منشآت تابعة لوزارة السياحة، تناسب ما يقي في جيوبهم ومدّخراتهم. واللافت أن هذه المنشآت، على بساطتها، باتت تشكّل رفداً إضافياً لخزينة الدولة

مرح ماشي

قد تكون السياحة خارج سلّم الأولويات السورية، في ظلّ تداعيات الحرب والحصار، وآثار تفشّي وباء كورونا، الذي لا تدخل وزارة السياحة في إطار اللجنة المشكّلة للتصدّي له، كونها وزارة كمالية تزدهر في أوقات السلم والرخاء. مع ذلك، بدأت تروج أخيراً «السياحة الشعبية»، المعروفة في شتّى أنحاء العالم بما تُسبّبه من فوضى وما تنطوي عليه من أخطار على التنوّع الحيوي والبيئي، إلّا أنها في سوريا اتّخذت شكلاً جديداً، يبدو في طريقه إلى التصاعد.

بعيداً من أثرياء الحرب

يمضي زياد مع عائلته إلى منطقة دريكيش في ريف طرطوس، هارباً من حرّ العاصمة وأخبار الفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي. قرّر المهندس الثلاثيني وزوجته أخذ إجازة بعيداً من كلّ الصعوبات المحيطة بهما، والتي أجبرتهما، بفعل ارتفاع الأسعار وتدنّي مستوى المعيشة، على فتح صندوقة مدّخرات ابنهما ذي العامين، والتي كانا وضعا فيها ما استطاعا من مبالغ زهيدة. 18 ألف ليرة هي كلفة غرفة مخصّصة لثلاثة أشخاص في فندق دريكيش التابع لوزارة السياحة، مع خدمات مقبولة. يعلّق الرجل على الأمر بقوله: «تعبنا من كلّ شيء. بداتْ وزوجتي فقدان توازننا جرّاء القلق والضغط النفسي. شعرنا أننا بحاجة إلى إعادة شحن طاقة قبل أن نفقد وعينا. ما يجري يُفقدنا التركيز والقدرة على التفكير». لا يخشى زياد وباء كورونا، بقدر ما يخشى نفاد المال في جعبته، إذ إن المبلغ الذي بحوزته يكفيه لإجازة لا تتجاوز ثلاثة أيام. يقول: «نأخذ احتياطاتنا الصحّية وفق الحدّ الأدنى لا أكثر. لم نسمح للمخاوف بالسيطرة علينا، بل غامرنا وقرّرنا تغيير الجو بأيّ ثمن».

مع استمرار العديد من إجراءات الحجر الصحّي العالمي، وتوقّف حركة الطيران طيلة الأشهر الماضية، قرّرت ديانا التي اعتادت أن تمضي عطلتها الصيفية في أوروبا أن تستعيض عن ذلك باستكشاف موطنها الأصلي، والتعرّف إلى المناطق الطبيعية المنسيّة فيه. تلفت المدرّسة العشرينية إلى أن «البديل الوطني أقلّ كلفة، وإن بخدمات ذات مستوى أقلّ أيضاً»، مشيرةً إلى أن «فنادق الخمس نجوم لا تعني لها شيئاً، وسط تطبّعها بأجواء تناسب أثرياء الحرب، بما في ذلك حفلاتها وشواطئها». وتضيف: «نسمع عن أسعار خرافية للإقامة في الفنادق الكبرى، مقارنة بتكاليف الخدمات السياحية في بلدان تفوق بلادنا في صناعة السياحة. وهذا سائد منذ ما قبل الحرب». وتتابع أن ثمة «حفلات في المنتجعات الخاصة بأسعار غير منطقية، وبما لا يراعي حتى ظروف التباعد الاجتماعي حالياً»، مستدركةً بأن «كلّ هذا لا يعنينا. نظّمنا أنفسنا للذهاب برحلات لا تكلّف الشخص الواحد أكثر من 2500 ليرة يومياً، بخدمات مقبولة». كلام ديانا يدعمه اعتراض أبناء الطبقة الاجتماعية ما بين المتوسطة والثرية على ارتفاع سعر الخدمة السياحية المتواضعة في الفنادق الكبرى العامة والخاصة.

> أرباح الفنادق العامة وصلت إلى مليارين و50 مليون ليرة العام الماضي

منشآت رابحة

تبرز، أخيراً، تجربة جديدة في صناعة السياحة السورية، حيث يتمّ التأسيس لمنشآت تستهدف الطبقات المتوسطة والفقيرة، وتوفّر فرص عمل لليد العاملة في مناطق تركزها، وهو ما بدأ يترسّخ كاستراتيجية تتبنّاها الحكومة. وفي حين افترض البعض أن منشآت «السياحة الشعبية» خاسرة، بحكم مردودها المتدنّي بسبب انخفاض سعر الخدمات التي تقدّمها، يتبيّن اليوم أنها منشآت رابحة، وإن بنسب متواضعة (بالمقارنة مع المردود الذي تُحقّقه منشآت سياحية كبرى)، فضلاً عن أنها لا تستنزف الاقتصاد ومقدّرات وزارة السياحة، بل على العكس من ذلك؛ إذ إنها ترفد خزينة الدولة بمبالغ لم تكن في الحسبان. هكذا، باتت تُنظّم رحلات يومية إلى منشآت «سياحة الفقراء»، لا تُكلّف الأفراد سوى مبالغ زهيدة، فيما أضحت مناطق سياحية شعبية قبلةً للسياح السوريين، كراس البسيط ووادي قنديل، أقصى شمال اللاذقية. وكمثال على ذلك، استقبل شاطئ منتجع «الابلاج» في وادي قنديل التابع لوزارة السياحة، صيف العام الفائت، أكثر من 14 ألف شخص ببطاقات دخول يومية تكلفة كلّ منها 200 ليرة، بينما سُجّلت الأكواخ الخشبية العائلية، التي يبلغ عددها 24 ويتّسع كلّ منها لإقامة 4 أشخاص، استقبال نحو 9200 شخص، وفق إحصاءات رسمية.

ومع زحمة المنتجعات السياحية الكبرى الحكومية والخاصة، فإنّ سياسة جديدة باتت تُعتمد فيها، عبر ضبط الهدر في الفنادق الحكومية، وتحقيق مستوى سنوي من مشاريع الصيانة الجزئية، وتحديد حجم تحويل مالي من أرباح الفنادق إلى الخزينة العامة للدولة وصل نهاية عام 2019 إلى مليارين و50 مليون ليرة، إضافة إلى ما يُلحظ من أرقام واعدة لهذا الصيف، على رغم المصاعب الحالية المعروفة، فيما لم يتجاوز حجم التحويل لعام 2018 مبلغ 550 مليون ليرة، و658 مليون ليرة لعام 2017. وفي حين دخل «مسبح الشعب» حيّز الخدمة أخيراً، وسط محيط منكوب بالعشوائيات والفوضى، وبطاقة استيعابية تصل إلى 1500 شخص يومياً، فإنّ 600 شخص يُعدّ رقماً كافياً في ظلّ الظروف الصحّية المتعلقة بوباء كورونا. وكان يوم عيد الأضحى الفائت أول أيام دخول المسبح الشعبي العمل، من خلال كلفة دخول للشخص الواحد تصل الى 300 ليرة سورية. وعلى شاكلة هذا المسبح، فإن لائحة من الأماكن المخصصة لـ«السياحة الشعبية» أصبحت مقصودة بقوة من قبل المواطنين، من دون الاكتراث بمتطلّبات التباعد الاجتماعي، باستثناء ما توفره إدارات المنشآت السياحية تلك من شروط تستجيب للتعليمات الحكومية.

تبيّن أن المنشآت الشعبية رابحة أيضاً، وإن بنسب متواضعة، بالمقارنة مع مردود المنشآت السياحية الكبرى (أ ف ب)

إعلانات رسمية

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلب يوسف بطرس لموكلته سعيدة الياس سند تمليك بدل ضائع 72 زغرتغرين.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلبت لولو سركيس حنا بالوكاله عن جوزاف فرنجيه سند بدل ضائع للعقار 79 الخالديه.
للمعترض 15 عشر يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلبت سليمه فايز الايوبي سند بدل ضائع للعقار 313 دده.
للمعترض 15 عشر يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلبت هناء صائب قاسم بوكالتها عن حسن محمد دبب عيد سند بدل ضائع للعقار 267 برج البيهودية.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري بالتكليف

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب المحامي الياس ساسين بالوكاله عن موريس الشويفاتي سند بدل ضائع للعقار 348 بلا.
للمعترض 15 عشر يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري

لإعلاناتكم الرسمية والمبوبة والوفيات
الأخبار
هاتف: 759555 ـ 01
فاكس: 759597 ـ 01

استراحة

كلمات متقاطعة 3523

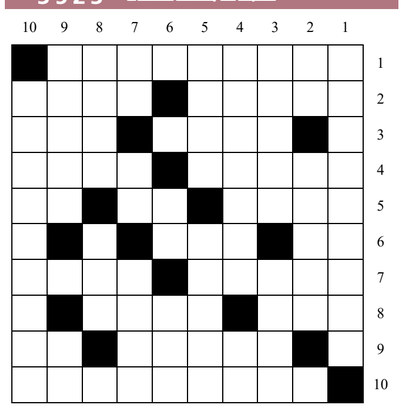

أفقيا
1- من وديان لبنان الخصيبة – 2- ملك صور أرسل عمالاً الى سليمان الحكيم لبناء هيكل أورشليم – من المعادن الثقيلة – 3- من أدوات المطبخ – مقياس بحري – 4- ملكة صور الأسطورية أسست قرطاجة – بركان مشتعل في إيطاليا شرقيّ صقلية – 5- إعتقدت بالله – ود – دسّ الشيء في الأرض – 6- دقّ وفتّ وسحق – جفّ بعد رطوبة – 7- سيّال دهني يُتخذ من بعض الأشجار كالصنوبر والأرز – أول القمر – 8- غزال أبيض – صفة منطقة مسكونة – 9- جزيرة يونانية جنوبيّ البحر الإيوني تُعرف أيضاً بإسم زاكونتوس – حرف جر – 10- عاصمة جزيرة كريت

عمودياً
1- من الحيوانات – 2- للتفسير – يتخذ من الحصان مطيّة – 3- مدينة المانية تشتهر بمتحفها الفنّي الذي يُعتبر من أغنى متاحف أوروبا – عائلة ممثل مصري راحل إشتهر بأدوار الشاب الوسيم والخفيف الظلّ – 4- إحدى جمهوريات روسيا تغطي الغابات معظم مساحتها – مقياس مساحة – 5- صادق وموثوق به – موز بالإجنبية – 6- شعور – شقّ الثوب ومزّقه – 7- أصل – والد – نخل الطحين بشيء رقيق – 8- يسكت – مرتفع من الأرض – 9- ذاكرة وعقل بالأجنبية – إسم بوذا في الصين – 10- محافظة في العراق تُعرف أيضاً بإسم تكريت

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1- سانت هيلينا – 2- البخور – ربو – 3- نهرو – برجيس – 4- تفّ – مُلحم – هل – 5- يوم – مالابو – 6- إفتنان – بر – 7- سبع – منيب – 8- ياهو – سار – 9- يمهله – شرق – 10- ساحة المدفع

عمودياً
1- سانتياغو – 2- الهفوف – هيَا – 3- نبر – متسامح – 4- تخوم – نبيهة – 5- هو – لَمّاع – لا – 6- بريحان – سهل – 7- رمل – ما – 8- برجٌ – إبن رشد – 9- نبيه برّي – رف – 10- أوسلو – برقع

3523 sudoku

6		5		4	9	2		7
7				1				
	3						4	
1			6		3		2	
8	9						5	3
	2		8		1			4
	6						7	
				3				1
2		8	4	7		9		5

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

3522

1	4	7	5	2	8	6	9	3
2	3	8	9	7	6	4	1	5
6	9	5	1	4	3	2	7	8
3	2	1	8	6	9	5	4	7
4	7	6	2	3	5	1	8	9
5	8	9	7	1	4	3	6	2
7	5	4	6	9	2	8	3	1
9	6	2	3	8	1	7	5	4
8	1	3	4	5	7	9	2	6

مشاهير 3523

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

فيلسوف وكاتب فرنسي (1913-2012). أسر خلال الحرب العالمية الثانية وأعتنق الإسلام عام 1982 متخذاً إسم رجاء. نال جائزة الملك فيصل العالمية

10+4+2+3+1 = ظلمة ■ 6+9+7+8 = لقب دريد لحام ■ 5+11= ضمير منفصل

حلّه الشبكة الماضية: **جابر احمد رزق**

إعداد
نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar
السبت 15 آب 2020 العدد 4125

صورة وخبر

صوفيا شو زاباتا، شابة تشيلية تدرس الباليه في المسرح البلدي في سانتياغو. كان يفترض بعام 2020 أن يكون واعداً بالنسبة إلى مسيرة زاباتا الفنية، غير أنّ إجراءات الإغلاق التي رافقت انتشار فيروس كورونا حالت دون تحقيقها كلّ ما خططت له. على الرغم من ذلك، تواصل صوفيا تدريباتها بمثابرة كبيرة بدعم والدتها التي تعمل في الخدمة المنزلية لتمويل حلم ابنتها. (خافيير توريس ــ أف ب)

السينما الفلسطينية عزيزة على قلب سردينيا

بين 17 و22 آب (أغسطس) الحالي، تشهد جزيرة سردينيا الإيطالية فعاليات «مهرجان الأرض للسينما الفلسطينية والعربية» الذي تنظّمه «جمعية الصداقة - سردينيا فلسطين» للعام السابع عشر على التوالي. كان من المقرّر أن يجري الحدث في آذار (مارس) الماضي، إلاّ أنّه تأجّل بسبب فيروس كورونا. يشارك في المهرجان 31 فيلماً اختيرت من بين 75 عملاً تقدّمت للمشاركة في المسابقة على جائزتَي أفضل فيلم وأفضل عمل سينمائي عن فلسطين، إلى جانب جائزتي «المخرج الناشئ» و«الجمهور» وغيرهما. تتكوّن لجنة التحكيم من المخرجة مونيكا ماورير، والروائي إبراهيم نصر الله، والبرفيسور وسيم دهمش، والبروفيسورة باتريتسيا مندوكي، ورئيس المكتبة السينمائية أنتونيللو زاندا، والمخرج أندريا مورا والبرفيسورة فرانكا بيراس.

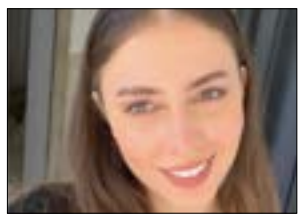

الصدمة الجماعية: جلسة تفاعلية

بعد الانفجار الذي هزّ بيروت قبل أيام، يعيش كثيرون تبعات نفسية يمكن أن تؤثّر سلباً على حياتهم اليومية. تسبّبت هذه الفاجعة بصدمة جماعية، أرخت بظلالها على مجتمعنا وعائلاتنا وأطفالنا في جميع أنحاء لبنان. غداً الأحد، تقيم «عيادات نوفل» (Nawfal Clinics) جلسة تفاعلية مباشرة عبر حسابها على إنستغرام عن التأثير النفسي لهذا الحدث، بالإضافة إلى كيفية التعامل معه، ومتى يجب اللجوء إلى العلاج النفسيّ. يشارك في النشاط الافتراضي كلّ من مايكل خوري (معالج نفسي للثنائي والأسرة وطبيب) ولمى حمدون (معالجة نفسية للأطفال والمراهقين. الصورة).

جلسة تفاعلية عن الصدمة الجماعية: غداً الأحد ـ الساعة الخامسة بعد الظهر ـ حساب Nawfal Clinics على إنستغرام

تانيا قسيس... حفلة افتراضية تبلسم جراح بيروت

دعماً للبنان وشعبه في مواجهة آثار الانفجار غير المسبوق الذي ضرب مرفأ بيروت في الرابع من آب (أغسطس) الحالي، تقدّم أوركسترا الأمم المتحدة لموسيقى الحجرة حفلة موسيقية افتراضية، غداً الأحد، لدعم جهود الإغاثة المستمرّة في بيروت بمشاركة الفنانة اللبنانية تانيا قسيس عبر تلفزيون الويب التابع للأمم المتحدة، على أن يعود ريعها إلى الصليب الأحمر اللبناني. في الموعد المرتقب، سيقدّم أعضاء أوركسترا الموسيقى للأمم المتحدة، كلّ من منزله في سبيل الحدّ من انتشار فيروس كورونا، جنباً إلى جنب مع تانيا قسيس الموجودة في منزلها في حي الجميزة المدمّر، ترنيمة «آفي ماريا» ممزوجة مع الأذان بمشاركة الفنانين معن زكريا وفارس مسعد، بالإضافة إلى أغنيتها «وطني» التي كتبها ولحنها الفنان اللبناني مروان خوري، ونالت عنها قسيس جائزة الـ «موريكس دور» عن فئة أفضل أغنية وطنية.

حفلة تانيا قسيس: غداً الأحد ـ الساعة السابعة مساءً بتوقيت بيروت ـ تلفزيون الويب التابع للأمم المتحدة (webtv.un.org)

رحلت شويكار دلّوعة الزمن الجميل

عن 82 عاماً، توفيت الفنانة المصرية شويكار (1938 ـ 2020)، أمس الجمعة، بعد صراع مع المرض. إحدى أيقونات الدلع والجمال في السينما المصرية، وُلدت في الاسكندرية، وبدأت مسيرتها الفنية في أدوار تراجيدية، قبل أن يكتشف المخرج فطين عبد الوهاب موهبتها الكوميدية. تألّقت على الخشبة والسينما والتلفزيون، فيما كوّنت ثنائياً فنياً ناجحاً مع الراحل فؤاد المهندس، وأصبحا أشهر زوجَيْن في الوسط الفني. من بين الأعمال التي أنجزاها معاً: «أخطر رجل في العالم»، «شنبو في المصيدة»، «أرض النفاق» و«سفاح النساء». عدا عن المهندس، ارتبطت الراحلة بحسن نافع ومدحت يوسف. غابت شويكار عن السينما بعدما قدمت «كلمني شكرا» (2010 ـ إخراج خالد يوسف)، فيما كان آخر مسلسلاتها «سر علني» (2012 ـ إخراج غادة سليم).

الأخبار
al-akhbar
السبت 15 آب 2020
العدد 4125 السنة الخامسة عشرة
Samedi 15 Août 2020 no 4125 15ème année
كلمات
ملحق أسبوعي
www.al-akhbar.com

أليف شافاك اسطنبول الأخرى

خليك صويلح

تتكئ أليف شافاك في روايتها الجديدة «10 دقائق و38 ثانية، في هذا العالم الغريب» التي صدرت نسختها العربية عن «دار الآداب» (ترجمة محمد درويش)، إلى معلومة علمية تؤكّد أن الدماغ يعمل بعد موت الشخص ما يعادل المدّة الواردة في عنوان الرواية. هكذا تستعيد بطلتها «ليلى تكيلا» في هذه اللحظات الفاصلة، أبرز محطات حياتها، بعد مقتلها. تتسرب الصور والمشاهد خارج حاوية القمامة التي احتضنت جثتها ليلاً. لن نقع على عتبات للبهجة في سيرة الطفلة التي وُلدت في بلدة بعيدة تخضع لتقاليد ريفية صارمة، إذ يقرّر الأب أن ينزعها عن صدر أمها ويمنحها لزوجته الثانية التي لا تنجب، في تبادل قسري للأدوار، ثم سيغتصبها العمّ في مراهقتها، فتقرّر الهروب إلى اسطنبول للتستر على فضيحتها العائلية، فيلتقطها شاب في محطة على الطريق، ويقنعها بأن تقيم في نزل قريب، لتكتشف بأنها ضحية شبكة دعارة، قبل أن تنخرط بهذه المهنة رسمياً في إسطنبول بصحبة مومسات من بلدان مختلفة. ههنا نتعرّف إلى شخصيات هامشية ومنبوذة تمثّل قاع المدينة المهمل، ولكلٍّ منهم حكايته التي تشتبك مع مصير الآخرين: «سابوتاج سنان»، و«نالان الحنين»، و«زينب 122»، و«حُميرة هوليود»، و«جميلة». في لحظات احتضارها تستدعي صور هؤلاء الأشخاص، كما لو أنهم عائلتها الأصلية، لنكتشف مشهدية مضادة لمدينة اسطنبول في هجاء صريح للقوانين التي تتعلّق بالعنف الجنسي والمثلية واضطهاد البشر المهمشين والأقليات، جرياً على عادتها في روايات سابقة. إذ لم تسلم من اتهامات ومحاكمات جائرة، ما جعلها تغادر البلاد للجوء في بريطانيا خشية مضايقات جديدة. سوف تُدفن ليلى في مقبرة الغرباء، فيقرّر الأصدقاء نبش القبر وإلقاء جثمانها في الماء، بناءً على وصية عابرة من القتيلة، كأن رابطة الماء أقوى من رابطة الدم. تحشد أليف شافاك كلّ ما يتعلّق بطقوس وأعراف وخرافات الأقاليم المهمّشة، بقصد إزاحة الستارة عن طبقات العفن والجهل التي تتحكّم بحياة البشر هناك، مثلما تذيب الألوان البرّاقة عن صورة اسطنبول البطاقات البريدية. سبق أن اتّهمت صاحبة «حليب أسود» بإهانة تركيا بعد نشر روايتها «لقيطة إسطنبول» حين اعتبرت المجازر التي تعرّض لها الأرمن في الحرب العالمية الأولى هي «إبادة جماعية». إضاءة أحوال المومسات وانتهاك حقوق النساء والعنصرية، في روايتها الجديدة (القائمة القصيرة لجائزة المان بوكر 2019)، وضعت أليف شافاك مجدّداً في مهبّ عاصفة من الاتهامات والدعوة إلى محاكمتها بدلاً من تغيير القوانين أو تطويرها، في موجة أخرى من التضييق على حرية التعبير، إذ بالكاد نجد كاتباً تركياً اليوم لا يحمل في سجلّه اتهاماً بتجاوز الخطوط الحمر، وفقاً لرؤية السلطات التركية التي تعمل بعنف على تكميم الأفواه وتضييق مساحة حرية التعبير.

فكر

أنتج أدوات معرفية جديدة في الفكر الماركسي

عودة إلى مهدي عامل: عن الدولة الطائفية و... ولادتنا المزيفة

عبد الله ميشال عطاس *

يعارك الواقع التاريخي للمجتمعات المفارقة، أحادية النظرية، فعندما يواجه الفكر تعقّد الواقع، على الفكر أن ينشّط ويتعقّد ويتعدّد، ليقبض ولو جزئياً على الواقع، وإلا ارتخَت ثورية الفكر في بلادة، منها يخلق وهمَ الواقع البسيط غير المركّب. لا يسلم الفكر الماركسي السياسي من هذا العراك، بين بساطة الفكر وتعقّد الواقع، خاصّة في مجتمعاتنا التابعة، حيث حوّر الاستعمار مسار تطورها التاريخي، وادخله في تبعية بنيوية سياسية واقتصادية لمركزه الإمبريالي. نتّجت عن هذه التبعية ولادتنا المزيفة في التاريخ كدولة طائفية ذات نمط إنتاج رأسمالي تبعي، ما يكشف هوّة في التطابق بين واقع الصراع الطبقي لهذه المجتمعات، وبين الفهم الماركسي الكلاسيكي لهذا الصراع.

لقد عمِل مهدي عامل (1936 ـ 1987) على ردم تلك الهوّة، عبر إنتاج أدوات معرفية جديدة في الفكر الماركسي، معتبراً أن تميّز هذا الفكر شرط من شروط كونيته. عبر ما عرّفه بالماركسية المتميّزة، قدّم لنا تحليلاً نظرياً لطبيعة التناقضات بين الممارسات التي تعمل في حقول الصراع الطبقي: اقتصادياً/ سياسياً/ أيديولوجياً. وأيّ محاولة لفهم البنية الاجتماعية اللبنانية وصيرورتها التاريخية، بدون الرجوع ولو جزئياً إلى ذلك التحليل النظري، ستقع بدورها في ضبابية تلك الهوّة، وفيها سيتخبّط المسار الثوري للممارسة السياسية. لقد اتّهم مهدي عامل من قبل العديد من رفاقه المفكّرين بالتطرف النظري للسياسة[1]، وقد كانوا محقّين بهذا الاتّهام، بقدر ما كان مهدي محقّاً بممارسة ذلك التطرف. منذ كتاباته الأولى، أدرك أن الحركة المحورية للصراع الطبقي في البنيات التابعة، تدور حول السياسة، وأن نبذ السياسيّ، أو جذب السياسيّ لهذا الصراع، هو الذي يحدّد إمكانية الثورة الاجتماعية. كما أنّه حدّد أن التناقض المسيطر في هذه المجتمعات بين التحالف الطبقي الحاكم والتحالف الطبقي المقابل هو تناقض سياسي، وأن أرضية هذا التناقض هو التناقض الاقتصادي[2] الذي يمثّل التناقض الإيديولوجي بين هذين التحالفين. كما أنّه وصف طبيعة الأزمات الدورية التي يعيشها النظام السياسي اللبناني؛ بين أزمة الهيمنة وأزمة السيطرة. أزمة السيطرة تترجم بتهديد السيطرة السياسية للتحالف الطبقي المسيطر على التحالف الطبقي المقابل. أمّا أزمة الهيمنة، فتترجَم بتفاقم التناقضات الثانوية داخل التحالف الطبقي المسيطر، تلك التناقضات الثانوية التي يكون لمن يحسمها من التحالف الطبقي المسيطر، نصيب قيادة هذا التحالف عبر الهيمنة الطائفية.

ولا يخفى على أحد أن التحالف الطبقي المسيطر في لبنان واقع في أزمة هيمنة منذ 2005، إلّا أنه لم يقع في أزمة سيطرة طبقية إلا منذ 17 تشرين الأول (أكتوبر) 2019. وهذا يغيّر كل شيء. فمصير أزمة السيطرة تلك، هو مصير انتفاضة 17 أكتوبر، أو بالأحرى؛ إمّا أن تتحول انتفاضة 17 أكتوبر إلى ثورة ذات مشروع سياسي بقيادة الطبقات المستغَلة، وإمّا أن تنتهي أزمة السيطرة، بتهافت الخطاب السياسي للانتفاضة، وبالتفاف تقوم فيه الدولة بوظيفتها الطبقية المسيطرة، في حماية مصالح الطبقة المسيطرة، عبر تأمينها التحقّق الآلي لإعادة إنتاج علاقات الإنتاج الرأسمالية القائمة، في إطار علاقة التبعية البنيوية بالإمبريالية، وبإعادة إنتاج علاقة التبعية هذه. ولئن سال سائل: لماذا الشكل الطائفي لهذه الدولة هو أساسي لوجودها كدولة بورجوازية؟ فالجواب هو باختصار، أن هذا الشكل يسمح للبورجوازية بالتحكّم بمجرى الصراع الطبقي، بإبقاء الطبقات الكادحة فيه، أسيرة علاقة من التبعية الطبقية بها هي، بالتحديد علاقة تمثيل طائفي. تربط الطبقات هذه بممثّليها الطائفيين من البورجوازية ربطاً تبعياً تفقد فيه وجودها السياسي كقوة مستقلة، لتكتسب فيه، وبه، وجوداً آخر هو، بالضبط، وجودها الطائفي أي وجودها كطوائف. فما دامت الطبقات المستغَلة موجودة في مثل هذه العلاقة من التبعية الطبقية التي هي فيها موجودة كطوائف، فإنّها لا تمثّل أي قوة سياسية مستقلّة هي قوّتها الطبقية المناهضة للبورجوازية. إن هذا الشكل التاريخي من وجود الطبقات الكادحة كطوائف في حركة الصراع الطبقي نفسه الذي تتحكم به البورجوازية المسيطرة عبر تمثيلها

> حوّر الاستعمار مسار التطور التاريخي لمجتمعاتنا التابعة، وادخله في تبعية بنيوية سياسية واقتصادية

الطائفي لنقيضها الطبقي، هو الذي يؤمّن للبورجوازية المسيطرة ديمومة السيطرة الطبقية، عبر تأمينه ديمومة التجدد لنظامها الطائفي الذي هو نظام سيطرتها الطبقية. من هنا أمكن القول بدقة إن الشكل الطائفي لدولة البورجوازية اللبنانية أساسي لوجودها كدولة طبقية بورجوازية»[6].

الدولة اللبنانية إذن تقع في ما يسمّيه مهدي بالتناقض المزدَوج؛ «إنّ الشكل الطائفي الذي هو أساسي لوجود الدولة اللبنانية كدولة بورجوازية، هو العائق الأساسي الذي يحول دون تكوّن هذه الدولة كدولة بورجوازية. فالدولة اللبنانية واقعة إذن في هذا التناقض المزدَوج بينها كدولة طائفية وبينها كدولة بورجوازية. ولا سبيل إلى خروجها من هذا التناقض الذي هو بنيتها، إلّا بانتقالها إلى بنية أخرى، ربما كانت بنية انتقالية يصعب تحديدها بدقّة بشكل مُسبَق. فقد يتداخل فيها الطابع البورجوازي بطابع آخر ينفيه، بحسب نسبة القوى الفعلية في حقل الصراع الطبقي. ذلك أن من الصعب تحديد ملامح الآتي لا سيما في زمن الانتقال. فالآتي رهنٌ بتطور حركة الصراع الطبقي الراهن، ليس بين قوى التحالف الوطني الثوري وقوى التحالف الرجعي فحسب، بل بين أطراف قوى التحالف الثوري نفسه (وبين أطراف التحالف الرجعي أيضاً). ولعل التسابق الراهن الذي أشرنا إليه بين الحل الطائفي والحلّ الديمقراطي لأزمة النظام البورجوازي، قائم حتى في صفوف هذا التحالف الوطني نفسه الذي قد يستهوي الحل الطائفي بعضاً من أطرافه»[7].

باتت تلك الأطراف هي التي تهيمن اليوم على التحالف الطبقي المسيطر بعد «الإصلاح الطائفي» الذي حدث في العقد الأخير من القرن الماضي، وبعدما أضعفت تلك الأطراف منذ أواخر الثمانينات الحزب الشيوعي اللبناني، أكان عبر اغتيال العقول الثورية للحزب وكوادره التنظيمية أم تهميشه سياسياً، وإن كان عبر تضليل تاريخه النضالي الذي أسس المقاومة الشعبية ضد إسرائيل. وكانت نتيجة ذلك الإضعاف هو انتفاء حلّ التغيير الديمقراطي بقيادة الطبقة العاملة، والمضي نحو حلّ «الإصلاح الطائفي» بقيادة الطبقة المسيطرة عبر اتفاق الطائف. «التوازن الطائفي» هو العنوان الذي عمل مهدي على تعريته سياسياً في نصوص القسم الثاني من هذا الفصل. وفي هذا القسم أيضاً، سيضع كلّ القوى السياسية الإسلامية التي واجهت في الحرب الأهلية آنذاك، الفاشية الكتائبية والاحتلال الإسرائيلي، أمام ضرورة حسم التناقض الذي تقع فيه بين وعيها الأيديولوجي الطائفي الذي يحتّم بورجوازية مشروعها السياسي، وبين ممارستها الفعلية للصراع الطبقي إلى جانب الحزب الشيوعي اللبناني ومشروعه الثوري. هذا التناقض الذي كان يطلب مهدي حسمه، قد انحسمَ برأيي منذ اغتياله، لكنه يشعّ جلياً اليوم، بتبعية الحكومة اللبنانية ومن تمثّل سياسياً إلى صندوق النقد الدولي.

في النص الأول، نجد عنده، نقداً سياسياً وأيديولوجياً للفكر الذي يعتبر أن التوازن الطائفي، هو الذي يؤمّن المساواة بين الطوائف، ويصحّح لهذا الفكر التعريف السياسي للتوازن الطائفي على أنه بالضرورة «توازن هيمني» أي توازن تقوم فيه كلّ الطوائف في الدولة، لكن على أساس هيمنة طائفة على أخرى. هذا ما رأيناه في المارونية السياسية آنذاك: «للتوضيح نقول إن التوازن الطائفي الذي هو أساسي لوجود الدولة وديمومتها كدولة طائفية، لا يعني المساواة بين الطوائف، وإن كان من وظيفته الأيديولوجية أن يوحي بها، أو أن يولّد في الوعي وهماً بها. إنه، بالعكس، توازن هيمني لا يقوم إلّا بهيمنة طائفية هي التي بها يتأمّن وجوده كتوازن طائفي»[8].

ومن ثم يضرب مفكّرنا لبّ المشكلة عندما يسأل عن العلاقة بين الهيمنة الطبقية والهيمنة الطائفية: «لكن المشكلة الفعلية ليست في وجود هذه الهيمنة، أو في عدم وجودها، بقدر ما هي في العلاقة القائمة، في الدولة نفسها، بين الهيمنة الطبقية والهيمنة الطائفية. (...) إن الدولة اللبنانية واقعة في تناقض مازَقي هو الذي يحدد بنيتها، وهو القائم فيها، بينها كدولة بورجوازية، وبينها كدولة طائفية. في ضوء هذا التناقض البنيوي، يجب فهم ذاك التوازن الهيمني. فموقع الهيمنة الطبقية الذي هو في الدولة أساسي لوجودها كدولة بورجوازية، له، في الدولة اللبنانية، بالضرورة طابع طائفي، لأن لهذه الدولة طابعاً طائفياً»[9]. (...) لقد كان التوازن الطائفي، كتوازن هيمني، هو الذي يؤمّن للدولة إمكانية القيام بوظيفتها الطبقية كدولة بورجوازية، فكان، بالتالي، أساساً لوجودها، لأسباب تاريخية مختلفة (...) لكن الحرب الأهلية، بمراحلها المتعدّدة وما سبقها أيضاً من نضالات ديمقراطية، تؤكّد، بالتالي، إعادة إنتاج علاقات الإنتاج؛ أي تأجيل الأزمة الاقتصادية وتأبيد نمط الإنتاج الرأسمالي التبعي. ومن المهم أن نذكر مع مهدي أن الحلّ الذي اقترحه بعض القوى السياسية البورجوازية آنذاك والتي ما زالت تقترحه كل القوى السياسية التي عندما يتحجّم دورها في السيطرة على جهاز الدولة، تصرخ بأن الحلّ هو المشاركة. مشاركة كل الطوائف في السيطرة على جهاز الدولة؛ «وبوضوح نقول إن مفهوم «المشاركة» يندرج في منظومة مفاهيم الأيديولوجية البورجوازية، في تحددها كأيديولوجية طائفية. وطابعه الطبقي البورجوازي يظهر، بوجه خاص، في تغييبه الطابع الطبقي لنظام التوازن الطائفي، وفي عرضه الأمور وحلولها كأنها قائمة بين طوائف، في غياب كلي للطبقات وللصراع بين الطبقات. لكن هذا القول لا يكفي في نقد هذا المفهوم، وليس هذا هو الأهم في نقده. وقد تكون «المشاركة» في وجهٍ منها، حلاً طوباويًا لأزمة فعلية، أي حلاً، بالوهم، لهذه الأزمة. والحل الوهمي هذا هو في إلغاء مساوئ النظام الطائفي، من دون إلغاء النظام نفسه، أي بالتحديد، كما أشرنا، في إلغاء الهيمنة فيه، بتقاسمها بين أكثر من طائفة»[11].

نصل الآن إلى ما كان مهدي عامل يحذّر منه، ألا وهو استبدال هيمنة طائفية باخرى. فكما أشرنا سابقاً، المشكلة ليست في كيفية هيمنة طائفة بأداء أفضل من أخرى على الدولة، المشكلة في طائفية هذه الدولة التي تتلازم مع رأسماليتها التبعية. فمهما جرّبنا من طوائف في الهيمنة على الدولة، لن تتحرر بنيتنا الاجتماعية من الأزمات السياسية والاقتصادية ما دامت محكومة بدولة طائفية. فلا المارونية السياسية استطاعت أن تحفظ البلاد من الأزمات السياسية، ولا الحريرية استطاعت لاحقاً أن تبني اقتصاداً وطنياً منتجاً، ولا الهيمنة الشيعية اليوم قادرة على حلّ الأزمة العامّة التي نحن فيها.

لنستمع إلى تحذير مهدي عامل بما يخصّ استبدال هيمنة طائفية بأخرى: «فلعل استبدال الهيمنة الطائفية الراهنة (المارونية السياسية آنذاك) بهيمنة طائفية أخرى - كالهيمنة الشيعية (وهذا ما حدث، بحكم علاقات الهيمنة التي فرضها النظام السوري في لبنان)، مثلاً، أو الدرزية، أو غيرهما - هو الحل المنشود، وهو الإصلاح الطائفي الممكن. في مثل هذا الحل نقول، مباشرة، إنه ليس بحل. فالعلة ليست في طائفة دون أخرى، (...) العلة هي في وجود النظام السياسي نفسه كنظام طائفي. العلة هي في وجود الدولة كدولة طائفية. فالطائفة ليست كياناً. الطائفة علاقة سياسية تتجدد بتجدد ذاك النظام، وتدوم بديمومته. فهو الذي يصون وجودها، ويؤمن إعادة إنتاجها كي تتأمن، بوجوده، ديمومة تجدد السيطرة الطبقية للطبقة البورجوازية المسيطرة، وهيمنة الفئة المهيمنة منها التي هي الطغمة المالية. هذا يعني بوضوح منطقي كلي أن وجود الطوائف جميعاً ـ لا وجود طائفة واحدة فقط ـ هو رهن بوجود ذاك النظام الطائفي الذي هو نظام هذه السيطرة الطبقية القائمة بهيمنة هذه الفئة المهيمنة. فبزوال هذا النظام، تزول الطوائف، بالمعنى السياسي الذي حددنا، (لا بمعنى الانتماء الديني، في ممارسته الطقسية، مثلاً)، إذ لا وجود للطوائف إلّا في هذا النظام وبه، من حيث هو نظام وجودها، في علاقات توازنها الهيمني. معنى هذا، بكل دقة، أن الوجود الفعلي - (الذي هو الوجود السياسي في ماديته) هو للنظام، لا للطوائف، لوحدة الكلّ في علاقات أطرافه، لا لكل طرف في وحدته»[12].

السيطرة السياسية في مجتمعنا، ما دامت مقرونة بالطائفية، فهي إذن مقرونة بالرأسمالية التبعية، والعكس صحيح. من غير الممكن أن يقوم نظام اقتصادي اشتراكي في لبنان، بوجود أحزاب طائفية حاكمة أو مهيمنة.

الدولة الطائفية

لقد قلنا سابقاً إن التحالف الطبقي المسيطر قد وقع في أزمة هيمنة منذ 2005، لكن قبل ذلك، حدث اتفاق الطائف في 1989، والحل السياسي للحرب الأهلية في ما بعد، وإننا لا نرى للأسف قراءة ماركسية سياسية لهذا الاتفاق عند الحزب الشيوعي اللبناني، خاصّة أنه الطرف الطبقي الثوري الذي لم يُدعَ أصلاً إلى حلّ «الإصلاح الطائفي» في السعودية. إلّا أن مهدي عامل، الذي كان منتسباً إلى الحزب الشيوعي اللبناني آنذاك، بل كان عضواً في لجنته المركزية، كان قد وضع كل القوى الإسلامية التي تواجه الفاشية الطائفية، والاحتلال الإسرائيلي، أمام ضرورة حسم التناقض الواقعة فيه؛ بين وعيها الطائفي الذي سيلتزم في نهاية المطاف بالإصلاح الطائفي، أي بحلّ الطبقة المسيطرة للأزمة، أي باتفاق الطائف، وبين ممارستها الفعلية لهذا الصراع على الأرض؛ «ثمّة إذن تناقض فعلي بين موقع هذه القوى الذي هو في حقل الصراع الطبقي ضد الفاشية وهيمنتها الطائفية، بالضرورة، موقع طبقي ثوري، وبين الشكل الطائفي الذي فيه تعي علاقتها بموقعها هذا، وعلاقتها بممارستها السياسية، وحتى بالأفق التاريخي لنضالها نفسه. بإمكان هذا التناقض أن يكون بالطبع عائقاً لتطور السيرورة الثورية. لكن ما نريد تأكيده الآن في هذا المجال هو أن نضال هذه القوى ضد هيمنة الفاشية الطائفية هو الذي يعترض طريق الإصلاح الطائفي الذي قد تطمح إلى تحقيقه. بل إن نجاحها في إسقاط الهيمنة ونظامها، هو نفسه الذي يحول دون تحقيق ما قد تطمح إليه من إصلاح طائفي، في الشكل الطائفي الذي فيه تعي أزمة وطبيعة حل الأزمة. كأنها محمولة بمنطق التاريخ، مدفوعة به إلى ضرورة أن تحسم أمرها، إمّا ضد وعيها الأيديولوجي وشكله الطائفي الرجعي نفسه، في اتجاه تغيير جذري للنظام السياسي الطائفي لسيطرة البورجوازية المسيطرة، القائم بهيمنة الطغمة المالية فيه، في هيمنة الفاشية الطائفية بالذات، وإمّا إوهذا ما حدث] في اتساق مع وعيها الطائفي الرجعي ذاك، (لكن ضد المصالح الطبقية لفئاتها الكادحة بوجه خاص) - في اتجاه إصلاح طائفي لهذا النظام، به يستعيد النظام أنفاسه، في حركة تُجدِّدُ أزمته، فتتجدد، حينئذٍ، شروط الحرب الأهلية إياها»[13].

ما وضعه مهدي عامل في هذا النص كتناقض يجب حسمه عند هذه القوى الإسلامية، قد حُسِمَ في أواخر ثمانينات القرن الماضي في اتساق مع وعيها الطائفي الرجعي، وضد مصالح فقراء تلك القوى الإسلامية. وحسمه هو الذي أدى إلى الإصلاح الطائفي في اتفاق الطائف الذي استبدل الهيمنة الطائفية في التحالف الطبقي المسيطر من المارونية إلى الحريرية، ومن ثم إلى الشيعية. أمّا في العودة إلى إشكالية علاقة السيطرة السياسية بين الطائفي والطبقي؛ فإننا نجد أن النظام السياسي الطائفي هو الذي يؤمّن للدولة الرأسمالية التبعية في لبنان، شروط وجودها وشروط تجديدها، وتمويلها من المهيمنين على تلك القوى الطائفية في الخارج. فمهما تتبدّل طائفة المهيمن على الدولة، أو على التحالف الطبقي المسيطر، لن يتغيّر النظام الرأسمالي التبعي الذي ينجب الأزمات الدورية التي تخضعنا ثراتُبياً لتبعية اقتصادية وسياسية أكبر. بالتالي الصراع الطبقي لتحويل النظام الرأسمالي التبعي هو الصراع السياسي ضد الدولة الطائفية في لبنان.

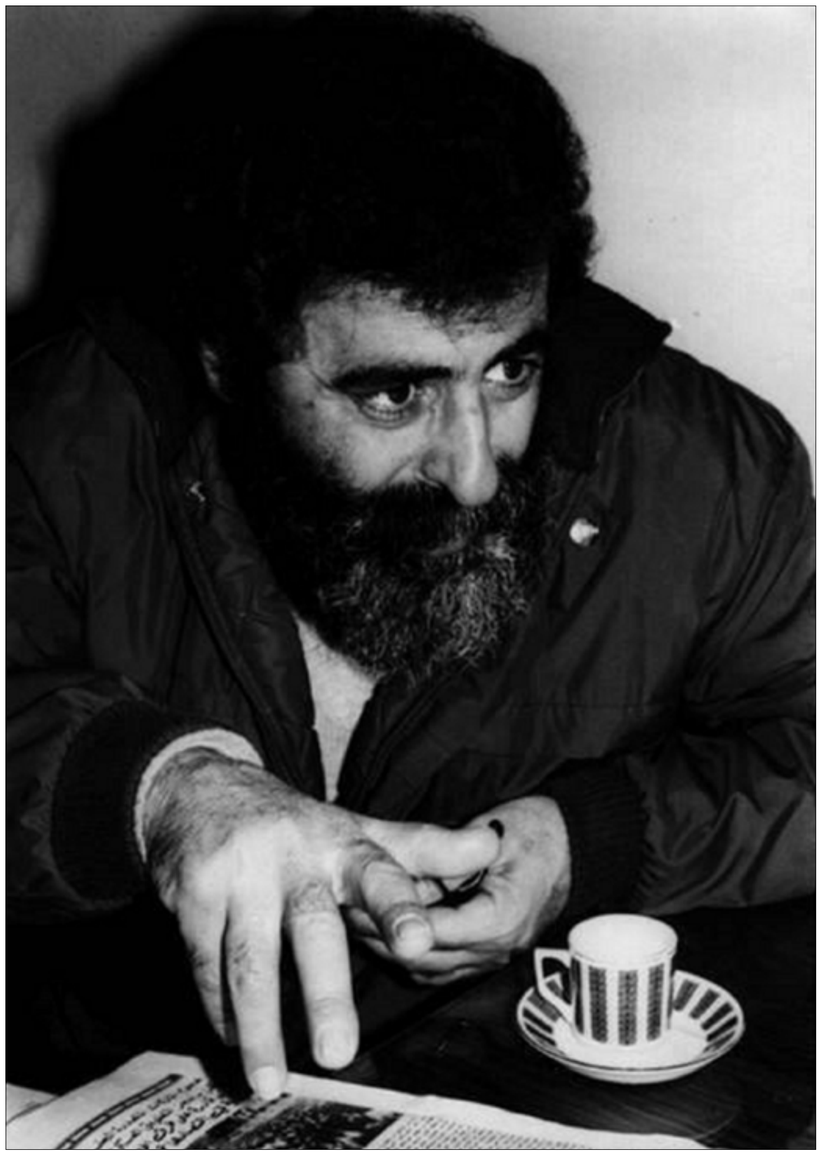

نقد الفكر اليومي

قبل عامين، أعادت «دار الفارابي» في بيروت إصدار الطبعة الخامسة من كتاب مهدي عامل «نقد الفكر اليومي». بدأ عامل بكتابة المؤلَّف عام 1980، فيما كانت الدوريات اليومية في تلك الفترة تنشر مواقف وآراء ونقاشات فكرية وثقافية لكتّاب من مشارب مختلفة ومتنوّعة. رأى عامل أنّ هذه الآراء لها طابع الاستحداث، وأنّ من الضروري نقد الفكر الذي تحمله، فتكوّنت فكرة كتاب «نقد الفكر اليومي» الذي ضمّ محاور عدة من بينها: موقع الفكر الماركسي في الفكر العربي المعاصر، مقولة الشرق والغرب، والاختلاف، والتيار البورجوازي المتأسلم وغيرها من القضايا...

1- مهدي عامل، مناقشات وأحاديث في قضايا حركة التحرر الوطني وتميّز المفاهيم الماركسية عربياً، دار الفارابي، بيروت، 1990، ص. 309 - 310

2- علينا في هذا المجال الاقتصادي أن نقتحَ آفاق فهمنا للاستغلال الاقتصادي، ليشتمل الاستغلال الاستهلاكي (عبر السيطرة على القدرة الشرائية) والاستغلال المالي (عبر علاقات الإنتاج للرأسمال المالي)

3- مهدي عامل، في الدولة الطائفية، دار الفارابي، بيروت، ص. 322

4- المرجع نفسه، ص. 323

5- الوصول إلى العلمانية مشروط بممارسة الصراع الطبقي، فبما أن الأيديولوجية الطائفية هي أيديولوجية التحالف الطبقي المسيطر، قد أخطأ من ظنّ من المفكّرين أن الوصول إلى العلمانية في مجتمعنا ممكن، إن لم نناضِ به القوى السياسية للتحالف الطبقي النقيض.

6- المرجع نفسه، ص. 325

7- المرجع نفسه، ص. 328

8- المرجع نفسه، ص. 335

9- يعتبر مهدي عامل أنه لا يجب علينا البحث في سبب ظاهرة التلازم بين طائفية الدولة وبورجوازيتها سوى في البنية الاجتماعية الأخيرة لبلداننا، أي منذ إعلان دولة لبنان الكبير، وطبع مجتمعاتنا بعلاقات إنتاج رأسمالية تبعية. ولكننا نلاحظ في هذا الاعتبار تطرّفاً نظرياً لناحية إهمال تأثير العلاقات الاجتماعية ما-قبل الرأسمالية على النظام السياسي الطائفي، وهذه الإشكالية تقتضي المعالجة النظرية التي ستتجاوز حتماً ضيق تعريف مهدي للطائفة.

10- المرجع نفسه، ص. 336

11- المرجع نفسه، ص. 338

12- المرجع نفسه، ص. 343

13 ـ المرجع نفسه، ص. 348 / بعد ما حُسِم هذا التناقض لا يمكن لنظرية مهدي عامل، أن تبقى على حالها في ما يخصّ الفهم العام للمسألة الطائفية واختزالها السياسي، وإلّا لوجبَ على مهدي أن يتنبّأ بكيفية هذا الحسم، لا أن يطرحه كطلب؛ وكأن تلك القوى الإسلامية كانت تملك حرية الإرادة السياسية.

* باحث وأستاذ في الفلسفة

ترجمة

خوان بابلو بيالوبوس: حفلة في الوكر *

يقول بعض الأشخاص إنني سابق لسنّي. يقولونها تحديداً لأنهم يظنونني صغيراً على معرفة الكلمات الصعبة. بعض الكلمات الصعبة التي أعرفها هي: قذر، مشؤوم، مُنمق، مثير للشفقة ومُتفجّر. في الواقع، من يقولون هذا ليسوا كثيرين. المشكلة أنني لا أعرف عدداً كبيراً من الناس. كل من أعرفهم هم ثلاثة عشر او أربعة عشر شخصاً. أربعة منهم فقط يقولون إنني سابق لسني. يقولون لي أيضاً إنني أبدو كبيراً، أو يعكسون الأمر بقول إنني صغير على مثل هذه الأشياء؛ أو أنهم أحياناً على النقيض من ذلك النقيض يعتبرونني قزماً. بالنسبة إليّ، لا أظن أنني سابق لسني. ما يحدث أن لدي خدعة صغيرة، كالسحرة الذين يخرجون الأرانب من قبعاتهم. الفارق الوحيد أنني أخرج الكلمات من القاموس؛ ففي كل ليلة أقرؤه قبل أن أنام، ثم تتكفل ذاكرتي بباقي المسألة. إنها بالمناسبة ذاكرة جيدة للغاية، شبه متفجرة. أما يولكاوت، فلا يظن أنني سابق لسني، وإنما يعتبرني عبقرياً. يقول لي مداعباً رأسي بأصابعه المرصعة بخواتم من الذهب والألماس:

-تـوتشـتلي، أنـت عبـقري أيها الخنزير الصَغير.

على أي حال، من يقولون إنني فضولي، عددهم أكثر. إنهم سبعة. وهذا ليس لشيء سوى أنني أحب القبعات جدّاً وأستخدمها كثيراً. استـخـدام القـبّعـات من عـادات الأشخاص المُنمّقين، ففي السماء حمام يقضي حاجته دوماً. إن لم تستخدم قبعة، سينتهي بك المطاف برأس مُتسخ. الحمام قليل الحياء، إذ يـذرّقُ على مرأى من الجميع وهو يطير. ربّما كان من الأفضل أن يفعلها في الخفاء بين فروع الأشجار. حينئذٍ، لم نكن سنضطر إلى النّظر طيلة الوقت نحو السّماء كبيراً؛ أو يعكسون الأمر بقول إنني صغير على مثل هذه الأشياء؛ أو أنهم أحياناً على النقيض من ذلك النقيض يعتبرونني قزماً. أقصد، بمعنى آخر، إنها مثل تيجان الملوك. إن لم تكن ملكاً وإن لم تستخدم قبّعة، سينتهي بك الأمر لتصبح شخصاً بلا قيمة.

لا أظن أن استـخـدامي للقبعات يجعلني فضولياً، خاصة أن كل ما هو فضولي قريب لكل ما هو قبيح؛ أو أن هذا هو ما تقوله ثينتيوتل. ما أنا متأكد منه هو أنني رجل بالفعل. على سبيل المثال: لا أقضي يومي كله أبكي لأنني بلا أم. إن كنت بلا أم يُفترَض أن تبكي كثيراً، أتحدث عن لترات من الدموع، ربما عشرة أو اثني عشر لتراً كل يوم؛ لكن، أنا لا أبكي. ربما لأن الشواذ هم فقط من يبكون.

حينما أكـون حزيـناً، يـقول لي يولكاوت ألا أبكي. يقول تحديداً: -تـحـمـل يـا تـوتشـتلي، تـحـمل كالرجال.

يولكاوت هو بابا، لكنه لا يحب أن أقول له بابا. يقول فقط إننا أفضل عصابة من الرجال في محيط قدره ثمانية كيلومترات على الأقل. يولكاوت من الأشخاص الواقعيين، لهذا لا يقول إننا أفضل عصابة في الكون، أو أفضل عصابة في محيط ثمانية آلاف كيلومتر. الواقعيّون هم أشخاص يؤمنون بأن العالم ليس بالصورة التي تظن أنه عليها. هذا ما أخبرني به يولكاوت. هذا هو حال الواقع ونقطة، لأنه لا توجد حلول أخرى.

«عليك أن تتحلى بالواقعية» هي العبارة المفضلة للواقعيين.

في الواقع، أظن أننا عصابة جيدة للغاية. لديّ أدلة: العصابات قريبة من مفهوم التضامن، والتضامن عبارة عن أمر مثل أن يشتري لي يولكاوت قبّعات لأنني أحبها؛ أتحدث عن قبعات كثيرة إلى درجة أن لديّ مجموعة من كل أنحاء العالم ومن مختلف عصوره؛ رغم أن ما أوده الآن أكثر من القبّعات الجديدة هو فرس نهر ليبيري قزم. لقد دونته بالفعل في قائمة الأشياء التي أرغب فيها وقدمتها لميثتلي. هكذا تجري الأمور دائماً. يشتري لي ميثتلي كل الأشياء التي أودّها بأمر من يولكاوت، لأنني لا أخرج كثيراً للشارع. لدى ميثتلي ذاكرة سيئة، لهذا عليّ أن أعدّ له قائمات بطلباتي.. لكن فرس النهر الليبيري القزم لا يُباع هكذا، بكل سهولة، في متاجر الحيوانات الأليفة، فتلك الأخيرة تبيع الكلاب على أقصى تقدير، لكن من يود كلباً؟ لا أحد يرغب في كلب. العثور على فرس نهر قزم ليبيري أمر شديد الصعوبة، لأن الطريقة الوحيدة لتحقيق المسألة ربما هي الذهاب لأسره من ليبيريا، لهذا يؤلمني بطني كثيراً. في الواقع، يؤلمني بطني دائماً، لكني بتّ أعاني منه الآن بصورة أكثر تتابعاً.

أعتقد أن هذه اللحظة في حياتي هي لحظة قذرة؛ أو ربما مثيرة للشفقة.

يروقني ماثاتئين دائماً؛ بصورة شبه كاملة. أقلّ منه فقط حين يتعنّت ويرغب في اتباع خطّة الدراسة بالضبط.. بالمناسبة، ماثاتئين لا يدعوني توتشتلي، وإنما أوساغي، وهو اسمي بالياباني، وهذا لأنه يحب كثيراً كل الأمور المتعلقة بإمبراطورية اليابان.

بالنسبة إليّ، أفلام السّاموراي هي ما أحبه كثيراً من الأمور المتعلقة بإمبراطورية اليابان. لقد شاهدت بعضها مرات كثيرة إلى درجة أنني بتّ أحفظها من الذاكرة. حينما أشاهدها، أستبقها، وإذا بي أتلو محادثات محاربي السّاموراي قبل أن ينطقوها دون أن أخطئ أبداً. يُمكنني فعل هذا باستخدام ذاكرتي، فهي حقاً شبه مُتفجّرة. هناك فيلم اسمه «شفق السّاموراي». تدور قصته حول محارب عجوز يعلّم طفلاً أموراً تتعلق بالسّاموراي وفي جزء منه يُجبره على البقاء ساكناً، صامتاً لأيام كثيرة. يقول له «أن تكون حارساً، يعني أن تعمل في السر وتعرف معنى الانتظار. الصبر هو أفضل أسلحتك، كطائر الغرنوق الذي لا يعرف اليأس. الضعفاء يُعرفون في حراكهم والأقوياء في سكونهم. انظر إلى السّيف المتفجّر الذي لا يعرف الرّعشة، انظر إلى الرّياح، انظر إلى رموشك، اغلق عينيك وانظر إلى رموشك». هذا ليس الفيلم الوحيد الذي أعرفه من الذاكرة، وإنما أكثر من ذلك بكثير: أربعة أفلام.

ذات يوم، بدلاً عن تدريس الفصول لي، حكى لي ماثاتئين قصته وهي قصة قذرة ومثيرة للشّفقة. ما يحدث أنه كان لديه قبل ذلك أعمال جيدة للغاية في إعلانات التلفزيون ويقبض ملايين البيزوهات ليخترع إعلانات تجارية للشامبوهات والمشروبات المرطبة، لكنه كان حزيناً طيلة الوقت، لأنه في الواقع درس ليصبح كاتباً. هنا تبدأ القذارة: أن يكسب أحدهم ملايين البيزوهات ويشعر بالحزن لأنه ليس كاتباً. إنه أمر قذر.

المهمّ أن درجة هذا الحزن الصافي دفعت ماثاتئين إلى العيش بعيداً، في كوخ وسط العدم، أظن أنه كان أعلى تل. كان يرغب في أن يتفرغ للتفكير وتأليف كتاب عن حياته، إلى درجة أنه قد أخذ معه حاسوباً. هذه الفعلة ليست قذرة، وإنما مثيرة للشّفقة. المشكلة أن الوحي لم ينزل على ماثاتئين وفي تلك الأثناء احتال عليه شريكه -الذي كان أفضل أصدقائه- واستحوذ على كل ملايينه. لم يكن أفضل صديق بالمرة؛ بل كان خائناً.

حينها جاء ماثاتئين ليعمل معنا، لأنه من فئة المثقفين. يقول يولكاوت إن المثقفين أشخاص يؤمنون بأنفسهم كثيراً لأنهم يعرفون أموراً جمّة. يعرفون أموراً عن العلوم الطبيعية، مثل طيور الحمام التي تنقل أمراضاً مثيرة للاشمئزاز؛ وكذلك عن التاريخ؛ مثل أن الفرنسيين يحبون كثيراً قطع رؤوس الملوك، ولهذا السبب يحب المثقفون أن يكونوا أساتذة. لكنّهم يعرفون أموراً خاطئة أحياناً؛ كمسألة أنك كي تؤلف كتاباً، فعليك أن تذهب للعيش في كوخ وسط العدم وأعلى تلّ. هذا هو ما يقوله يولكاوت: يعرف المثقفون أموراً كثيرة عن الكتب، لكن معرفتهم عن الحياة هي والعدم سواء. نحن أيضاً نعيش وسط العدم، لكننا لا نفعلها لينزل الوحي علينا؛ وإنما بغرض الحماية.

* خوان بابلو بيالوبوس، من مواليد مدينة غوادالاخارا المكسيكية عام 1973. درس علوم التسويق وبآداب الدول الناطقة بالإسبانية وله منشورات عديدة في أدب الرحلات والنقد والسينما وكان في صدد إنجاز دكتوراه في نظرية الأدب والأدب المقارن. تعدُّ روايةُ «حفلة في الوكر» إنجح أعماله، لكن نُشرت له أعمال أخرى تُرجم بعضها إلى لغات عدة نذكر منها: «لن أطلب من أحد أن يصدّقني» و«سأبيع لك كلباً» و«رحلة كونيّة إلى ميناء الخيال الروائي» و«غزو قرية الروح». الجزء المنشور هنا هو مقتطف من روايته «حفلة في الوكر» التي صدرت ترجمتها حديثاً عن «دار صفحة 7» (ترجمة محمد الفولي. مصر)

نص

لا بد أن تنبت لنا أجنحة حتى نطير إليهم

مالفا [عمر حمدي]: «أشجار البتولا ربيعاً» (زيت على قماش، 2013)

مروان علي *

ترك «قوج» طاحونته بين كروم العنب وحقول البطيخ الأحمر في هضاب توبز وكوتيا ثم مضى إلى مدينة كبيرة وبعيدة، لا أحد يعرف اسمها.

ثمة تمثال حجري صغير لمريم العذراء في غرفة صغيرة تطل على البئر قرب المحركات الألمانية الضخمة made in Germany .

وحين يذهب الطحان الكردي لتدخين سيجارة حمراء طويلة، يتأمل البيت الطيني النظيف الذي ظل ينتظر أولاد قوج الذين غادروا إلى المنافي البعيدة في أستراليا أو كندا.

هناك جرار فخارية تفوح منها رائحة النبيذ والأغنيات القديمة.

في الصباح الباكر، يحمل الطحان أكياس القمح التي تركتها حصادات جونديرِ الخضراء خلفها.. بينما آلاف الأرانب البيضاء تركض بين حقول البطيخ الأحمر وتختبئ بين شجيرات دوار الشمس.

وحين يكون وحيداً، يتحدث الطحان الكردي بالسريانية المرصعة بكلمات كردية وأرمينية مع كائنات غير مرئية تنصت إليه بشغف..

لغة تعلمها من شعوب جميلة أكلت من قمح هذه البلاد لتهاجر كالطيور إلى بلاد غريبة..

لا بد أن تنبت لنا أجنحة حتى نطير إليهم.

* ألمانيا/سوريا

أقاصيص

مدينةٌ كاملة من الأشخاص الذين لا يكبرون

طارق إمام *

1- فيلم روائي طويل

لم أكن أتخيل عندما غادرتُ الفيلم في منتصفه، أنه سيقابلني في اليوم التالي. لم أتخيل أنه سيوقفني في شارع ما، معاتباً، وغير مستعدٍّ للغفران، بينما يقول أنتَ تركتني في منتصفي، أنت لم تقف بجانبي، رغم أنني وقفتُ بجانبك. منحتك فرصة أن تُقبّل المرأة التي معك بمشهدٍ حميم جاء في موعده، بالضبط في اللحظة التي تمنّيته فيها، منحتُك وقتاً للغضب في ضجيج مشهدٍ آخر جعل صراخك في وجهها صمتاً في آذان المتفرجين، وأخفيتُ دموعك بمنديلٍ أخرجته البطلة لحظة لم تأبه بطلةُ حياتك الحقيقية بدموعك.

قال الفيلم أنا من سمح لك أن تلوّح بالمدية في الظلام، عندما أظلمت الشاشة تماماً للحظات، حتى أن يدك نفسها فقدت النظر، فلم تر لمعة النصل.

كان غاضباً، وكان محقاً في غضبه، ولم تفلح ترّبيتاتي عليه في التخفيف من ألمه.

كان على الأغلب فيلماً جميلاً، واحداً من تلك التي تستحق أن نكملها للنهاية ولا نفعل أبداً، لأننا نكون قتلنا شخصاً ما في اللحظة التي تسيل فيها الدماءُ على الشاشة.

2- كل مرة. لاول مرة

كلما أودعوه التراب، كان يستيقظ، كان المقبرة مهده.

في كل مرة يفعل ذلك، كانوا يعرضون كفنه على حبل الغسيل، دليلاً على أن عودته ليست كذبة. هذا ما يفعله الموتى عادةً حين يقرّرون الرجوع، يتركون للأحياء مهمة إقناع الآخرين بكل ما يمرّره الموت ولا تصدّقه الحياة.

كانوا يُلبسونه له مجدداً في الميتة اللاحقة، لأن الفقراء لا يستطيعون تدبير أكثر من كفنٍ واحد مهما تعددت الميتات.

وفي كل مرة، كان يخرجُ كجثمانٍ جديد يليقُ بالصرخات، الصرخات المستعملة التي كانت بدورها تبدو جديدةً كي تليق بشخصٍ يموتُ لأول مرة.

ذات مرةٍ مات ولم يعد. ظل مكانُ كفنه شاغراً على المِنشر، واستغرب الناس، بينما يضيق يوماً بعد يوم الفراغُ الذي كان يحتله، لحساب غيارات المواليد الجدد.

استغرب الناسُ كثيراً، استغربوا بصدق، كان تلك الأحوال لم تُخلق لملابس الدنيا.

3- الحب

تلك النظرة الذائبة في الغياب، كانت يوماً ما حدقة، عندما كانت سلامةُ العينين شرطاً للأمل.

ذاك الأنف: لن يتوسط حتى رأسَ تمثالٍ من رخام، فللخلود دائماً شروطٌ ليس من بينها الحُب. خصلةُ الشعر، تلك المتارجحة فوق الجبهة كبندول فقد ميقاته، تحررت الآن من زيتها، من صبغة اليد الغريبة، من رائحة اللقاء بالوسادة، من الهواء الشحيح المختنق بينها وبين غطاء الرأس، فيما تنفلتُ لتستنشق الهواءَ الذي يخشاه الأهل.

.. والفمُ، آلة الطعام، التي ضحّت مراراً بعملها من أجل بطالة قُبلة.

ذات يوم، كانت ملامح قليلةٌ كهذه كافيةً تماماً، لتكون وجهاً.

4- محض رجلٍ في فلسفة

كان يُطل على المدينة الكبيرة من سجن صورته، محض رجلٍ يبتسم في ملصق.

رأى ما رأى، رأى أكثر ممن رأوا. كانت مصابيحُ المدينة تنعكس على وجهه فتضيء ابتسامتَه بالتساوي لجميع من يملكون الثمن. عاش كثيراً على نفقة مدينةٍ تضيئها ثقابُ السجائر الرخيصة، ثم، عندما أظلمت المدينةُ تماماً، عندما أطفأتها الحروبُ الخاسرة ونطفأت قصص الحب في أكياس الأرصفة، عندما أصبحت الشمسُ قطعةَ عملة وتوسطت أعمدةُ الإنارة بيوتَ اللصوص، أصبحت المدينة تستديرُ ضوءها من صورته، لتُرشد السيارات والتائهين، لتمنح الشرطيين الإضاءة اللازمة لتجريد العابرين من ملابسهم، لتُعرّي الشحاذين وتفضح تجاعيد اليد الممدودة. حتى القمر، قمر السماء، أصبح دائرةً فضية في سماء سلعته.

محض رجل في ملصق، كم أحبا هذه المدينة، كم أمّاتها، كم تمرّق كلما اقترب منه طفلٌ عابثاً بجسده، وكم تمرّق كلما غادره طفلٌ، محبطاً، وقد فطن أنه، كجميع من يبتسمون هنا، ليس حقيقياً.

5- في كل مكان خانته المدينة

دائماً، هناك رجلٌ عجوز، عجوز لدرجة أن أحداً لا يصدق أنه كان طفلاً يوماً ما، وبلا فم، بعد أن سرقت يدٌ قديمةٌ كلماته للأبد.

رجلٌ عجوز، يعيش في الشوارع الجانبية، الأزقة المظلمة، في الليل وفي المناطق المعتمة من النهار، يوجد في كل نور محبَط وفي كل مكان خانته المدينة، خلف حوائط الخرابات، تحت شواهد المقابر التي لا يزورها أحد وخلف صخرة البحر الكبيرة التي تخشاها العائلات، يحيا بين أشجار الحدائق الضخمة ووراء أبواب العقارات التي بلا حراس.

في أي مكان يلوذ به رجلٌ وامرأة من خلف الجميع، يظهر ذلك الرجل العجوز، لكي يُفسد القُبل.

كان يحلم بمدينةٍ كاملةٍ من الأشخاص الذين لا يكبرون، وكان يعرف أن الفم أول ما يخون الطفولة، وآخر ما يشيخ. رجلٌ عجوز يقطع طريق الهمسات واللعاب، كأنه يقطن بيتاً أخيراً في تلك المسافة_ التي لن يقبل أبداً أن تتقلّص _ بين شفتين.

* مصر

ايكاتيرينا ايرميلكينا ـ «مزاج مدينة» (زيت على كانفاس ـ 2017)

جوردي دييز ـ «عاشقان من فولاذ» (2019)

قصيدة

الحبّ بصقة في فوهة بركان

باسل الأمين *

إننا نختفي في الحب
حينها نكفّ عن كوننا أنفسنا
الحبّ رعاية للذات
معاينة لأضرار الزمن فينا
الحبّ يشبه المعاطف الدافئة
التي تخفي تحتها
أرق السنين
ولمحات العيون الذابلة
إنّنا عندما نحبّ
نضع قناعاً ناصعاً
ونتمرّن على الإلفة
ليس الحبّ ما يفتح لنا آفاق الحياة
بل إنّ الحياة توظّف من أجل الحب
ومن أجل المحبوب
من أجل الهدف الأسمى
لأنّه يصير، الجدوى الوحيدة
في عالم يشرق من فوهة بركان
الحبّ بصقة لعينة في فوّهة بركان
تصبح فجأة أكيداً
من أنّك تمتلك يدين نافعتين
وليس مجرّد سكاكين تقطّع بهما الوقت العاديّ
إنّنا نتخفّى في الحبّ
من همجيّتنا، من كوراثنا الذاتيّة
لكيّ نستلذّ في الإيمان الصعب
وعندما نعلق بشدّة في لذّة الإيمان
يفوتنا أنّنا بشرٌ شكّاكون
فالسبب الذي من أجله طردنا من الجنّة
كان مغالاتنا في الإيمان ثمّ ذرّة شكّ طفيفة
ثمّ اعتدنا كل ذلك لاحقاً
الأرض العاديّة، الوقت العاديّ، العلاقات العاديّة
والبيئة والمياه والخبز والطقس والأفلام والسجائر
الحزن والبقاء والرحيل أيضاً
دائماً ما كانت الحياة عاديّة
ولم نفكّر ولو لبرهة
لماذا يعتاد الرجال الضئيلون
على فكرة الحبّ الضخمة؟

* لبنان

فلسفة

نيتشه: «التاريخ الأيقوني» لا يقود إلى المستقبل!

مصطفى شلش

رفض الفيلسوف الألماني فردريك نيتشه (1844- 1900) أن يكون الإنسان قد حقق الرضى عن واقعه عبر مبحث «فلسفة التاريخ»، لذا راح ينقض المباني الهيغلية (نسبة للفيلسوف الألماني هيغل) لفلسفة التاريخ القائمة على أفكار «العقل» و«الشأن/ التاريخ الكوني»، مؤسساً بذلك فلسفة سلبية للتاريخ نقضت العاقلية والنظمية والغائية للقراءات التاريخية التقليدية. وصار التاريخ البشري لدى نيتشه هو مسار «تقهقر» لا «تدرج».

أصدر نيتشه كتاب «محاسن التاريخ ومساوئه» عام 1874، وانتقل أخيراً إلى العربية (ترجمة رشيد بوطيب ـ منتدى العلاقات العربية والدولية). يعدّ هذا النص القصير ـ المكوّن من تسع شذرات طويلة نسبياً ـ من أهم كتب مرحلة الشباب النيتشوي، إلّا أنه لم يلقَ النجاح والعناية في حياة نيتشه أو حتى بعد وفاته، على الرغم من أننا لو أدركنا أنّ نظرة نيتشه للتاريخ وعلاقة الإنسان بالزمن ومكانة الماضي بالنسبة إلى الحاضر، تجعل من ذلك الحاضر انفتاحاً على المستقبل.

لاحظ نيتشه أن مُفكري ونُخَب وسياسيي عصره سقطوا «صرعى مرض التاريخ» وأنّ إقبالهم على دفن رؤوسهم في التاريخ، ما هو إلّا أمارة تراخي وتأخر وضعف. فهؤلاء صاروا لا يقدرون على مقاربة ظاهرة ما إلا وفي يدهم عصا الماضي التاريخي، ما يحوّل كل معرفة حاضرة حيّة ونضرة إلى معرفة تاريخية ذاوية ذابلة. فالإفراط في الإقبال على التاريخ، أو تعظيم دوره بشكل مبالغ يجعل الحياة تذوي وتأفل، كما أن مِن شأن تُخمة التاريخ أن تقتل الإنسان. وعلى النخب الفكرية والسياسية أن تعيد التفكير في شعار المسيح: دع الموتى يدفنون موتاهم واتبعني، ولا يغيروا الشعار إلى: دع الموتى يدفنون الأحياء.

في نظر نيتشه، نعم نحن نحتاج لتاريخ، لكننا نحتاج إليه بشكل مختلف عن المتسكع الخامل في حديقة العلم، بغض النظر عن الاحتقار الذي ينظر به من علمائه إلى ضروراتنا وحاجاتنا. إن هذا يعني أننا نحتاج إلى التاريخ للحياة والعمل، وليس لكي نولي ظهرنا إلى ارتياح لهما، أو لكي نزين الحياة الأنانية والفعل الجبان والسيئ. فنحن نريد أن نتعلم التاريخ بقدر ما يخدم التاريخ الحياة. لكن للأسف طريقتنا لممارسة التاريخ وتقويمه، تدفع بحياتنا إلى الجفاف والانحطاط، وتجعل صوت أحد المتجمّعين حول الرئيس الفرنسي ماكرون أخيراً في بيروت يقول: «بيوس إجرك انتدبنا». إنها ظاهرة يتوجّب معرفتها عبر دراسة طبيعة القراءات التاريخية الخاصة بزمننا.

خضع صاحب الصوت والداعي لعودة الانتداب ـ بوعي أو بدون وعي ـ لما أسماه نيتشه «التاريخ الأيقوني»، وهو تاريخ يجعل من الماضي صورة أيقونية، تدفع النخب إلى إخراج انحطاط الماضي من طي النسيان، وإعادة تقديمه ليصير حدثاً خالداً، وإقامة تابين جنائزي عظيم للتاريخ الماضي، من دون أن تعي أنها تدفن الحاضر من دون إيجاد حلول له. وذلك إن نمّ عن أمر، فإنما ينمّ عن نزوع إلى الهرب من الذات، ونكوص عن إيجاد مثال، أي السعي نحو شأن أفضل. ففي هذا الوعد التاريخي المهزوم، يبرّر الجيل الضائع انكساره بالبحث عن كيفية حدوث الأشياء وتجلية أسبابها. وتلك العلة لتبرير الجبرية والإيمان بالحتمية وجعلها أمراً ممكناً، مهدئ مبرّر لكراهية الذات. فإن تجاوز الإنسان لتاريخ ما، يجعله يظن أن ما مضى كان على أحسن حال.

ما سبق هو ما يجعل التخمة التاريخية أمراً رذلاً، منها أنّ استبداد التاريخ على عقول الجماهير التي تُعاني من مشكلات، يجعلها في معاداة مع الحياة. بل يجعل الناس يلحقون الضرر بمستقبلهم بلا اجتثاثه، فالإقبال على الماضي يقوم على التفريط بالمستقبل. فالأحكام التاريخية المطلقة بتقدم عصر (الانتداب مثلاً) وتدهور عصر (اتفاق الطائف مثلاً) تتوقف في الأساس على هفوات وتجاهل فجائع الماضي.

يظهر نيتشه خطورة الإفراط في استهلاك الدراسات التاريخية، وبحدد مخاطر القراءات التاريخية التقليدية في خمسة جوانب: أولاً فهي معادية للحياة، أي تخلق تعارضاً بين الحياة الداخلية للفرد والعالم الخارجي، ثانياً، تعدّ عاملاً مسؤولاً عن إضعاف الشخصية، ثالثاً، والأهم تخلق الوهم حول الماضي بصفته حاملاً للفضيلة أكثر من الحاضر. رابعاً يقلل الزخم التاريخي غرائز الشعوب، ويحول دون بلوغ الفرد والمجتمع رشدهما. وخامساً تنمو روح الكلبية في المجتمع، وهي مزاج خطير يتمثّل في السخرية من الذات ويشلّ قوى الحياة ويدمّرها في النهاية.

لا يكتفي نيتشه بهدم فلسفة التاريخ التقليدية، إنما يعيد طرح تصوّر جديد خاص به، يطلق عليه «تاريخ الإنسان». وهذا لا يعني أن عاد إلى التاريخ مرة أخرى، لكنه أسس فلسفة تاريخية سلبية أو مضادة تسهم في بناء تاريخ إيجابي. ورغم أنّ نيتشه شكا مرض تخمة التاريخ الذي أصاب معاصريه ورفض الإقبال المفرط على الدراسات التاريخية، إلا أنه لم يتخلّ عن فوائد الحس التاريخي ومزاياه والإقرار بمدى أهمية التاريخ للحياة. فما يميز الإنسان عن غيره هو الطريقة التي يوظف بها التاريخ: إذا كان ذلك من أجل خدمة الحياة، فهذا هو المسار السليم. أما إذا كان ذلك لعبادة الماضي، فهو مسار مميت. كما ركز نيتشه على عنصرين: عنصر تاريخي وعنصر لاتاريخي، وكلاهما ضروريان من أجل الحفاظ على صحّة الفرد والشعب والحضارة. كما قام نيتشه بتبجيل عنصر اللا تاريخي، لكننا سنركز على العنصر الأول أكثر، حيث نصح نيتشه بضرورة معالجة الماضي بين حين وآخر أو بمعنى آخر أن يذيب الإنسان جزءاً من صنمية ماضيه، عبر محاكمة هذا الماضي باسم الحياة ومساءلته بشكل قاسٍ بل إدانته. ومن ثم نصير في حاجة لدفن الماضي ونسيانه وتجاهله، والنسيان أمر جلل، فهو يوفر السعادة التي تعدم الأفق التاريخي، ولا يجعل الإنسان يتحول إلى حفار قبور للحاضر. وإنما يصبح الإنسان فرداً ينمو ويتفتح ويتطوّر ويداوي جراحه ويصلح ما أفسده ويعوّض خسائره مسيطراً على الماضي لا العكس.

وللسيطرة على الماضي وعلى ملكة التاريخ، يشير نيتشه إلى ضرورة التزام الإنسان بالمبدأ التالي: أن يصير العلم التاريخي بالشيء يعني أن يعيش الإنسان من جديد، لا بما هو معرفة ميتة (عصر الانتداب الفرنسي مثلاً) وإنما بما هو حياة قائمة (إدراك الأزمة السياسية والإنسانية الراهنة في لبنان مثلاً)، فلا طريق يقود من مفهوم الشيء إلى ماهيته إلا التوحّد معه، ولا يمكن الحكم أو التعلّم من تجربة مريرة إلا بعد أن نعيشها بشكل كامل، ونساوي بين جميع أطرافها ونوحد ونتوحّد معها.

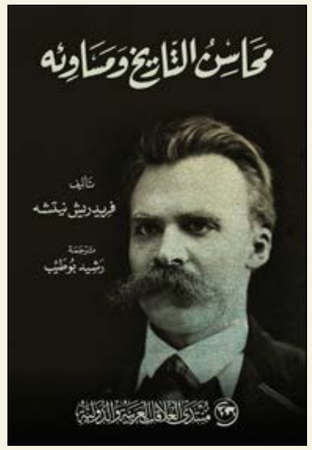

الأحكام التاريخية المطلقة بتقدم عصر (الانتداب مثلاً) وتدهور عصر (اتفاف الطائف مثلاً) تتجاهل فجائع الماضي

ومعنى التوحد النيتشوي ليس التمثل به أو الاقتداء إنما الإخضاع للمسالة والإملاء حسب حاجة الإنسان في الوقت الحاضر.

يتوجب إذن على الجميع أن يتّضح له وجود شيء ما أولاً ـ فساد، انتداب، إلخ ـ وإذا نظرنا نقدياً إلى الماضي لهذا الفعل، سنقطعه من جذوره، لا أن نقوم بتقديسه. وكلا الأمرين في نظر نيتشه شديدا الخطورة، فنحن كبشر في الحاضر نمثل حصيلة الأجيال السابقة، وذلك يعني أننا في الآن نفسه نتيجة لانحرافات هذه الأجيال ورغباتها وأخطائها بل لجرائمها، ويصعب علينا التحرّر كلياً من هذا الإرث. وحتى إذا حكمنا على تلك الانحرافات واعتبرناها لاغية، فإننا لا نُلغي عبر ذلك حقيقة أننا ننحدر منها، بل في أحسن الأحوال نصل إلى صراع بين طبيعتنا المتوارثة ومعرفتنا المكتسبة. ولربما أدّى الصراع بين الطبيعي والمكتسب إلى عادات وغرائز جديدة وطبيعة ثانية تدفع الطبيعة الأولى إلى الاندثار.

لذا، إن محاولة البعض اختيار ماضٍ ومحاولة الانتساب إليه بشكل بعدي ـ ضداً على الماضي الذي ينحدرون منه ـ هي محاولة يتربص بها الخطر دوماً لأنه يصعب تعيين حدود في عملية نفي الماضي أو إعادة سرده على هوانا. وفي أغلب الأحيان لا تتجاوز معرفتنا بما هو جيد لنا لكي نحققه أو ما نقدر على القيام به وما لا نقدر. لذا تظهر حاجتنا كبشر وكشعوب لحساب الأهداف التي نرسمها من أجل قوتنا ومن أجل معرفة دقيقة بالماضي، سواء كانت تلك الأهداف متعلقة بالتاريخ الإيقوني أو التقليدي أو النقدي، فهي لا تحتاج مجموعة من النخب والمفكرين أصحاب الأفكار المحضة الذين يكتفون بالتفرج على الحياة، بل تحتاج إلى أناس يستهدفون خلق حياة جديدة من ركام التاريخ. تلك هي العلاقة الطبيعية لحقبة ولحضارة ولشعب بالتاريخ. علاقة تنظمها الحاجات وتسيطر عليها القوة الكامنة بداخلها. إننا لا نرغب في معرفة الماضي أو العودة لعصور خلت إلا لخدمة الحاضر. وتنعدم رغبتنا في التاريخ حين يضعف حياتنا ويؤدي إلى اقتلاع مستقبلنا. وهذا بسيط وبديهي مثل الحقيقة، ومقنع بشكل مباشر، ولا نحتاج أن نقدم له استدلالاً تاريخياً بيّن فداحة الانتداب ووحشية الماضي.

رواية

أحمد مراد: اللعب بعجينة الكتابة

يزن الحاج

شكّلت رواية أحمد مراد «الفيل الأزرق» (2012) مفاجأةً حين وصلت إلى القائمة القصيرة لجائزة «بوكر العربيّة» عام 2014. كانت الرواية (وما زالت) أجرأ خيار لمحكّمي الجائزة وللقائمين عليها. فالرواية تنتمي إلى الأدب غير المعترف به في «جنّة» الجوائز والنقد الأكاديميّ: رواية «بست سيلر» من «أدب الجائر» الموجّه إلى شرائح قرّاء محدّدة لهم بوصلتهم الخاصة التي لا تتقاطع مع بوصلة الأدب السائد إلا نادراً. ولكنّ الرواية محض خيار جريء لا أكثر، إذ لا تمثّل أهميّة كبرى حتّى ضمن تيّار أدب الجائر العربيّ، بالرغم من انتشارها الهائل الذي جعل من كاتبها أحد أشهر الروائيّين المصريّين، بل العرب بالمطلق الآن. ولكنّ يبدو أنّ مراد حاول طوال سنوات كسر الخانة التي حبسته فيها الرواية، ومضى يشقّ طريقه في مسار روائيّ آخر، أصدر فيه ثلاث روايات، وصولاً إلى روايته الجديدة «لوكاندة بير الوطاويط» التي صدرت أخيراً عن «دار الشروق».

أثارت الرواية الجديدة جدلاً آخر مختلفاً هذه المرة حين قُرصنت إلكترونياً لتثير عاصفة بشأن حقوق الملكيّة الفكريّة، وعاصفة أقل تتّصل بردود الأفعال التي حظيت بها الرواية، من النسف التام لكونها رواية «بست سيلر مراديّة أخرى»، إلى الحماس المبالغ فيه من قرّاء مراد المخلصين، وهم شريحة كبيرة لا يمكن لنا تجاهلها بحال من الأحوال. لستُ من المتابعين الدؤوبين لتجربة مراد الروائيّة، ولذا شكّلت روايته الجديدة مفاجأة صاعقة بالنّسبة إليّ، إذ ما من مجال للمقارنة بينها وبين «الفيل الأزرق». بل لا مبالغة لو قلنا إنّهما تبدوان لكاتبيْن مختلفيْن للوهلة الأولى. لمصلحة الرواية الجديدة بطبيعة الحال. رواية متقنة بدرجة كبيرة بدا فيها مراد أهدأ وأبرع في إدراكه لأدواته وحدودها، وللكتابة في ذاتها، إذ تعامل معها بوصفها لعبة ممتعة لا حدود لها، ممتعة لكاتبها قبل أن تكون ممتعة لغيره. بدا مراد محترفاً بدرجة عالية بالمقارنة مع مراد الهاوي قبل ثماني سنوات. وحتّى لو تجاهلنا «لوكاندة بير الوطاويط» إحدى أجمل الروايات المصريّة الصادرة في السنوات الأخيرة، ولا تكاد تنافسها إلا روايات تُحصى على أصابع اليد الواحدة. رواية تلعب بالتاريخ وبالخيال وبالهذيانات وبالبارانويا وبالجنس وبالأزمنة وبالطبقات على هواها، لتقدّم لنا شخصيّة سليمان أفندي السيوفيّ، مصوّر الموتى السّاحر في درب النبوّة والوحي؛ شخصيّة ستحفر مكاناً كبيراً لها بوصفها إحدى أجمل الشخصيّات الروائيّة في مشهد روائيّ لا ينشغل برسم الشخصيّات ولا يكترث بصنعة الخلق في الكتابة اكتراثاً كبيراً في ظل انشغال الروائيّين بصرعات الأدب التي تولد ميتة، وبكتالوغات الكتابة بالمسطرة.

سليمان أفندي هو الرواية. فاليوميات يومياته، والقاهرة قاهرته، والوحي وحيه، والنّساء نساؤه، واللغة لغته، والموتى موتاه. وفي ظل هذا التّطابق التام بين الرواية وبين الراوي، ستعتمد قراءتنا للرواية على مدى تقبُّلنا لسليمان نفسه؛ إنْ أحببناه أحببنا الرواية، وإنْ نفرنا منه نفرنا من الرواية، وإنْ آسانا فهمه (وهذا هو الأخطر) سنسيء فهم الرواية. لنا أن نقراها قصةً بوليسيّةً تنوس بين الرعب والتشويق، ولنا أن نقراها دوامة بارانويا رائعة، ولنا أن نقراها رواية تاريخيّة تنطلق من «التاريخ البديل» وسؤاله الأثير: «ماذا لو؟» ولا تنتهي به. غير أنّ كلّ قراءة من هذه القراءات ستمسي قراءة قاصرة إنْ أفردناها من بين القراءات الأخرى. نقطة قوة الرواية ونقطة ضعفها في آن هي أنّها مجموعة خيوط متشابكة تبدأ وتنتهي بسليمان السيوفي، وبطريقة تعامل مراد مع سليمان، وبمدى إخفاء مراد لصنعة الكتابة بحيث يخرج من المشهد تماماً ويتركه لصاحبه فقط. نجح مراد في هذا نجاحاً كبيراً، ولكنّه وقع في الفصول/ اليوميات الأخيرة في فخّ فصل الخيوط المتشابكة، فركّز حينا على الجرائم، وفصّل حيناً بين سليمان وبين وحيه، وأفرد حيناً آخر حيّزاً مبالغاً فيه للتفاصيل التاريخيّة، بحيث انتهت الرواية بثلاثة خيوط منفرزة باهتة، فيما كان يُفترض أن تكون خيطاً ثالثاً متضافراً يتضاعف جماله بتضاعف تعقيده. ولكنّ اللغة المشغولة ببراعة بقيت العنصر الأجمل حتّى بعد تفكُّك الخيوط، بل لنا أن نرى أنّ نقطة التّجريب الأكبر كانت اللغة التي تضبط إيقاع السّرد الجنونيّ، وتبدو مرآة وبوصلة لتقلّبات سليمان الذي يبدو للوهلة الأولى راوياً غير موثوق به، فيما هو في حقيقة الأمر أكبر من هذا. إنّه نبيٌّ لغةٍ في المقام الأول: يستنطق الموتى باللغة، ويقاوم الميلانخوليا باللغة، ويقارع عدوّه الهجين باللغة، ويضاجع باللغة، ويقتل باللغة، ويعقل باللغة ويُجنّ باللغة. اللغة لدى سليمان منبع خلق وكينونة قبل أن تكون وسيلة للكلام أو البوح أو الألم أو استعادة أحداث الماضي.

نقرأ في قصة لكافكا بعنوان «الحقيقة بشأن سانتشو بانثا» فكرةً مدهشةً، وهي أنّ كيخوته ليس إلا شيطان وحي سانتشو الذي أطلق العنان لذلك الشيطان بإرادته ليعيش مغامراته. رواية كيخوته ـ تبعاً لقراءة كافكا هنا ـ تدور داخل ذهن سانتشو واقعاً وخيالاً، إنْ كان للواقع وللخيال معنى في دنيا كيخوته. وكذا الأمر في «لوكاندة بير الوطاويط» (أو ما يُفترَض أن تكون عليه الرواية ربما): جميع تفاصيل الرواية وخيوطها النبويّة والتاريخيّة والجنونيّة والإيروتيكيّة دوّامةٌ من دوّامات ذهن سليمان السيوفي. لا واقع ولا خيال، لا تاريخ ولا حاضر؛ بل لعلّنا نحن أيضاً تفاصيل ضمن خيالات سليمان المدهشة، خلقٌ آخر لهذا النبيّ الذي اختزل العالم كلّه في غرفته الفوضويّة وفي ذهنه المرعب، بحيث بات كلّ ما وقَعَ لا يوجد في ذهنه غير موجود، وكأنّه لم يكن، حتّى لو شهدتْ له أرقام وأحداث. ثمة نبيٌّ شقّ البحر، وأنبياء أحيوا الموتى، وأنبياء أسبغوا البركة في الطعام والشراب، بينما نبوّة سليمان من جنس آخر: نبوّة ذهنيّة علقت في مرحلة الوحي ولم تغادره؛ وحي جنونيّ تتداخل فيه الأزمنة والأمكنة، والموت والحياة، والدنيا والآخرة في متاهة لغويّة أسرة. تلك هي «رسالة» سليمان أفندي السيوفي النبويّة في غرفته الرثة، ويومياته المبعثرة الناقصة التي نقلتها لنا رواية «لوكاندة بير الوطاويط» التي اختلف حولها القرّاء وسيختلفون. ليست رواية عاديّة بالمعنى الذي نعرفه، إنّها رواية جميلة معقّدة زلقة كفخّ زلزليّ؛ لا عجب أنّ خيوطها قد أفلتت حتّى من كاتبها في نهاية المطاف.

لعب بالتاريخ والخيال والهذيانات والبارانويا والجنس والأزمنة والطبقات

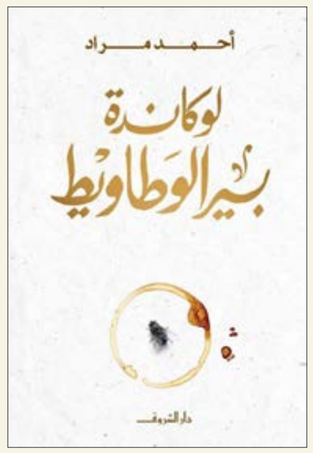

ديوان

علي محمود خضيّر: إصلاح كرسي العالم المكسور

محمد ناصر الدين

في «كتاب باذبين» (دار الرافدين)، وهو الديوان الرابع بعد «الحالم يستيقظ» و«الحياة بالنيابة» و«سليل الغيمة»، يدعونا الشاعر العراقي علي محمود خضير (1983) إلى تسمية أشياء الطفولة بأسمائها. والشعرُ المغلي عادةً بطبقة سميكة من غبار المخاتلة والتجريد والاحتجاب الذي يتطلب كشفاً نراه في كتاب خضّير، وقد نفخَ الشاعر على غباره، فتجلّى هذا الشعر حيث يجب أن يكون: عند أريكة في «علي الغربي»، أو «باذبين» أو «حي الغربي» حيث كانت الطفولة أو لحظة البرق الأولى التي لا تذوي ولا تموت. الطفولةُ تلك التي هي أشبه بالحجرة الداخلية لكل منّا، حيثُ «تُقتُ فيها الطمأنينة/ مرّةً وإلى الأبد/ لسُلّم حجري يؤانسُ ضلع النهر/ ودرّاجة زرقاء/ تكاثف الريح».

أمام قسوة العالم، تكون العودةُ إلى المنابع الأولى وحكايا الأمكنة الصغيرة نوعاً من التخفف، والانسلاخ عن التواريخ الكبرى، إذ أن «مكاناً صغيراً سيخص نفراً بعينهم... حيث صنوان لا ينفدان الأرض والوقت، ولو كانت المدن العظمى تمنح لكتّابها أن تتكئ نصوصهم إلى تاريخ ممتدّ وأحداث متشعبة، فإنّ لبقعة صغيرة من الأرض سحر الاكتفاء بذاتها نافرة من أخبار المؤرخين وتنازع المفسرين وتكالب الطغاة». على تخوم جيكور السياب وبويب الذي صار نهراً يرفد الخيال الشعري أكثر منه إرواء لبساتين النخيل، وعلى مقربة من بصريات محمد خضيّر حيث يتقمص الكاتب صمصرَ الموتى السّاحر في درب النبوّة علي خضّير حيث تحضر الحياة بأكملها عند طفل، وتقول له كما في جملة مالارميه الشهيرة: «غنّ الآن، إنّ استطعتَ»: إنه بساط من الأشخاص والأماكن الملوّحة بشمس الجنوب العراقي يُعرّف فيها الزمن كالتالي «حين كدنا أن نلمس الشمس غاربةً، كانت الفواخت تنظف مناقيرها والسواقي أمهات. كان النهر يسرّح شجرَ الغَرب والليل يحضّر أغنية للنجوم. الراعي يتمدد في عيون أبقاره، الهواء يشهق أنفاس الفلاحين الراجعين لدفء الزوجات». إنه فضاء غناء لأولئك الذين يجدون رغم كل شيء فسحة للجمال والعمق في «نخلة الجيران الفارعة كالزمن رأيتها في منام الباركة تنوح»، والخيّاطات «يدسسن العيدَ في النفانيف» والصيادون «يخبئون الموجات في أضلاعهم». وكذلك في هذه المشهدية المبهرة «العصافير في الطارمة أليفة كثيابنا. كنا نتعرض إليها لاعبين، يرف عصفور على حضن خالتي فيضيف واحدنا عوداً في الرازونة التي صيّرها عشاً. الضوء لغتنا، يعرّي مسالك دمنا الواحد، تؤاخي الشمس بيننا، فنصير قلادة النهار»، وصولاً إلى ذلك النشيج العراقي الكربلائي في الفسحة السردية في «كتاب باذبين»، حيث يجيب أحد الجنود على مرائي الحاج عدنان: «إنّ لي أباً وأمّا ميتين، وأختاً غادرت البلاد منذ سنين، وأصحاباً ضاعوا في سواتر أو هجروا في ليل، وولداً ذبحه الوحوش. أمثالي لا طاقة لهم على سماع صوتك. لقد كسرت بغدانك قلبي».

في ما يخص المكان وبناءه شعرياً، كلما توغلنا في «كتاب باذبين»، فإننا سنهتدي بتفاصيل وتشعبات تجعلنا خلف براءة مشاهد الطفولة ننظر إلى المكان كمنظر معقّد، كبناء يتشكل مع السرد، كعالم يكتمل مع الشعر: باختصار يمكننا القول إننا لسنا أمام عملية تفريغ مدرسية للذاكرة والأماكن، بل إنّ خضّير يوظف الشعر والسرد في تشكيل المكان في الحركة الخاصة للقصيدة والنثر، فالشعر على وجه خاص لا يقبل بذاكرة جاهزة ومكتملة. من هنا، لا يمكننا إلا أن نشيد بثنائية السرد والخيال التي يعتمدها خضّير في كتابه: حين يوجّهنا السرد في اتجاه يخص الكاتب وحده، يأتي الخيال الشعري ليأخذنا بحسب مقولة هيدغر إلى «طرق لا تفضي إلى أي مكان» أو لعلّها تفضي كل قارئ إلى أمكنته الخاصة: «في السوق المسقوفة/ عوى الخواء طويلاً/ وقضيّ أن يهدر عُمُرٌ في الفرجة/ كانت أصابع تُفرك في جيب مهزول/ كان آباء عجالى بلا آذان/ أمهات يفتحن عيونهن/ ولا يرين شيئاً». وكذلك حين ندخل معه في السرد غرفة أبيه المغلقة حيث «عشرات العُدد والآلات والأدوات: مفكات بأنواعها، مطارق، فؤوس، أزاميل، مسامير من كل الأحجام، مناشير، براغي، كواغد زجاج، علب صباغة، فُرش مختلفة، أجزاء كهربية، حوامل معدنية، أسلاك، أصماغ، وصلات أنابيب مخزّنة بعلب «نيدو» الحجم الكبير وكل ما يعالج الحديد والخشب والزجاج». من قلب هذا المعجم المادي والحسي، يخرج الشاعر بخلاصة خيالية وشعرية «كانت مهمة أبي واحدة ومستحيلة: إصلاح العالم من حوله». وتبدو فعلاً غرفة الأب المغلقة أشبه بالغرفة السوداء التي تحدثت عنها مارغريت دوراس كثيراً، مختبر الكتابة الداخلي، إذ يعثر الشاعر على كتاب. لغز حيث يخط الأب: «أرجوك لا تقرأ هذه المذكرات»، ليضيف: «لن يصلح كتابي كرسياً مكسوراً... ومهما هاجر كتابي في القصبات والمدن البعيدة وفكّ من مغاليق السابق والآتي، فليس له حظّ رجل ظل يعالج قلب العالم من مخزن شحيح الضوء في مدينة مغمورة، ولم يقرأ كتابه أحد».

قلب العالم ذاك سيكون في كتاب الابن: «أين الطيّورُ/ كانها لم تعبث بأكياس الخيش/ أين السماء؟/ استعارة من الوجوه لونها/ أين من مروا؟/ أين من فروا/ ويقولون أين الله اولئك الذين خسروا كل شيء/ لوحده، يبقى الماء/ يسحب بعضه بعضاً/ سجادة سمراء تغطي الوهاد/ وحده ولا شيء سواه». الابن أيضاً، حاملاً عدّته من الكلمات يحاول إصلاح كرسيّ العالم المكسور.

خلف براءة مشاهد الطفولة ننظر إلى المكان كمنظر معقّد

لمحات

محسن بن الحطاب التومي

ضمن سلسلة «أطروحات الدكتوراه»، أصدر «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» كتاب «تعليم التفكير الفلسفي والسياق الثقافي العربي: أيّ دور للمعطيات الثقافية؟ مقدمات في الحداثات التطبيقية» لمحسن بن الحطاب التومي. يعتمد الكاتب والأكاديمي التونسي في مؤلفه على مقاربة متداخلة المناهج، لينتهي إلى أنّ المشكلة ليست في الفلسفة ذاتها بقدر ما هي في السياق والوسائط، خصوصاً في الثقافة العربية التي تعاني من توتّر تاريخي في العلاقة بين العقل والنّقل، وبين الفلسفة والدّين.

اسماء مقبل عوض الاحمدي

تقف الأكاديمية أسماء مقبل عوض الأحمدي عند المنجز الروائي السعودي في «إشكاليّات الذّات السّاردة في الرّواية السّعوديّة» (الدار العربية للعلوم ناشرون). تركّز الأحمدي على إشكاليات المرأة وقضاياها في عدد من الروايات السعودية الصادرة ما بين 1999 و2012. في هذه الدراسة الأدبية النقدية، هناك مقدّمة ومدخل نظري وخمسة فصول تتناول فيها الذات الساردة، والذوات الأخرى، والخطاب الروائي وتشكّلات الذات، وإشكالية الوصف، واللغة والبعد الجمالي الفني للرواية النسائية السعودية.

كارلوس باتيستا

بعنوان «المترجم كاتب الظل»، انتقل كتاب الباحث الفرنسي البرتغالي كارلوس باتيستا إلى العربية أخيراً عن «دار خطوط وظلال» (الأردن/ ترجمة: محمد آيت العميم). المؤلّف الذي صدر بالفرنسية سنة 2010، يعدّ من أهمّ ما كتب عن الترجمة في السنوات الأخيرة. يأخذنا الكاتب في رحلة مع مجموعة من المترجمين من خلفيّات متنوّعة، ليقدّم لنا خفايا هذه المهنة، ودور المترجمين بالإضافة إلى بعض الأفكار والخلاصات عن مفهوم الترجمة، وأنواعها.

هيثم سرحان

«الذاكرة والخطاب مقاربات في النثر العربي الكلاسيكي» (جامعة الكوفة) هو عنوان الدراسة الجديدة التي صدرت للباحث هيثم سرحان. يسعى الكاتب في مؤلّفه إلى استكشاف مكامن التوهّج في الذاكرة الأدبية في النثر العربي الكلاسيكي، ورصد ملامح نصوصه وفق منظورات نقديّة معاصرة ومداخل لسانية ونقدية عدّة. هكذا يدرس الكاتب بعضاً من نماذج التراث النثري العربي الكلاسيكي عبر أشكال إبداعية مثل الأخبار والحكايات والأحاديث والقصص والمقامات والرسائل...

هيرمان هيسه

«بيتر كامنزيند» هي الرواية الأولى للكاتب الألماني السويسري هيرمان هيسه التي صدرت بالألمانية سنة 1904. الرواية التي لاقت حفاوة كبيرة في ألمانيا لدى صدورها، انتقلت إلى العربية أخيراً عن «دار الرافدين» (ترجمها عن الألمانية نجم والي). يتتبع هيسه في روايته رجلاً وُلد في قرية صغيرة نائية في الجبال، والتحوّل الداخلي الذي يصيبه ويدفعه إلى إعادة النظر بخياراته الحياتية وأسلوب عيشه بالنسبة إلى الأديان الإبراهيمية الثلاثة.

رشيد الخالدي وسليم تماري

«القدس الأخرى: إعادة النظر في تاريخ المدينة المقدسة» (مؤسّسة الدراسات الفلسطينية) هو عمل مشترك بين رشيد الخالدي وسليم تماري. المؤلّف الذي صدر باللغة الإنكليزية، يضمّ مقالات عن مدينة القدس وتحوّلاتها الحديثة وتقاليدها، وتطوّرها على مدى قرنين من الزمن، أي منذ القرن التاسع عشر إلى اليوم. ويأتي هذا الكتاب في ظلّ انتشار السرديات الصهيونية عن المدينة الفلسطينية التي تعدّ مدينة مقدّسة بالنسبة إلى الأديان الإبراهيمية الثلاثة.

أوراق

سهم الاعتذار

زكريا محمد*

لدينا طقس غريب حدثتنا عنه المصادر العربية، يدعى «العقيقة» أو «سهم الاعتذار». والخبر المفصل عن هذا الطقس جاءنا من ابن الأعرابي، الذي نقل الجميع عنه في ما يبدو:
«قال أبو العباس ثعلب، رحمه الله: سألت ابن الأعرابي، رحمه الله، عن التعقية، وهو سهم الاعتذار، فقال: ... إن أصل هذا أن يُقتل الرجل من القبيلة فيُطالبُ القاتل بدمه، فتجتمع جماعة من الرؤساء إلى أولياء المقتول بديةٍ مكملة ويسألونهم العفو وقبول الدية. فإن كان أولياؤه ذوي قوة أبوا ذلك، وإلا قالوا لهم: إن بيننا وبين خالقنا علامة للأمر والنهي؛ فيقول الآخرون: ما علامتكم؟ فيقولون: أن نأخذ سهماً فنرمي به نحو السماء، فإن رجع إلينا مضرجاً دماً فقد نُهينا عن أخذ الدية، وإن رجع كما صعد [أي من دون دم] فقد أُمرنا بأخذها. قال ابن الأعرابي... : فما رجع هذا السهم قط إلا نقيّاً، ولكنهم لهم في هذا المقال عذر عند الجهال» (أبو عبيد البكري، التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه).
إذن فطقس سهم الاعتذار يقوم على إطلاق سهم في الجو ثم انتظار سقوطه للتأكد من أنه غير ملوث بالدم، وحينها يجري الصلح بين جماعتي القاتل والقتيل عبر الدية. واسم العقيقة، أو التعقية، آت من الفعل عقى، الذي يعني رمى السهم عالياً نحو السماء: «تَعْقِيَةُ العُقَابِ وغيرِها من الطَّيْر: ارْتِفاعُها. وعَقَّى بالسَّهْم: رَمى به في السَّماء» (الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة). وقد سمّي بسم الاعتذار لأنه يعطي أهل القتيل عذراً، أي سبباً، لقبول الدية.
ورغم وضوح الطقس، فإن جذوره غامضة. فنحن لا ندري بالضبط لم يطلق الطقس نحو السماء. فهل إرساله للسماء طلب من الآلهة كي تحكم في القضية؟ أم أن الأمر يتعلق بردّ رمزي على القاتل؟ نحن لا ندري. لكن أبا علي القالي في الأمالي، الذي عارضه البكري، يميل نحو الرأي الثاني: «عقَّى بسهم إذا رمى به نحو السماء لا يريد به أحداً. وإذا اجتمع الفريقان للقتال بما بدا لأحد الفريقين وأرادوا الصلح، رموا بسهم نحو السماء فعلم الفريق الثاني أنهم يريدون الصلح، فتراسلوا في ذلك. لم يعلم أبو علي - رحمه الله - معنى التعقية ومذهب العرب فيها» (البكري، التنبيه).
وظني أن القالي كان ينقل عن الخليل بن أحمد: «يقال عَقَّى بسهمه تعقيةً إذا رمى به بعدما يستبعد العدوّ» (الخليل بن أحمد، العين). وكل هذا قد يوحي بأن «سهم الاعتذار» يطلق على العدو المفترض كنوع من رد شكلي حتى يمكن أخذ الدية وحل الإشكال. لكن قضية البحث عن الدم على السهم تعارض هذا التفسير. وهي قضية غريبة في الحقيقة. فهل تعني أن السماء حكمت بأنه لم يحصل قتل؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما الذي يبرر أخذ دية القتيل إذن؟ وهكذا، فالأمر غامض.
على كل حال، فقد أشرت مرة في أحد كتبي إلى أن قصة الثلاثين من الفضة التي أخذها يهوذا بعد تسليم المسيح ربما كانت تمثيلاً لهذا الطقس. وهو ما يعني أن يهوذا أخذ دية المسيح، وهو ما يوحي بأنه قريب المسيح. وفي القصة ورد تعبير «اكل دماً». وتعبير أكل كما شبيه بتعبير «أكل الدم» في العربية، وهو تعبير يعني: أخذ الدية. بذا فنقود يهوذا ليست ثمناً لتسليم المسيح بل دية دمه.
على كل حال، وكي لا نتجاوز المساحة الممنوحة لنا هنا، فإن الجديد في الأمر، هو أن لدينا رأس سهم منقوش ربما كان سهماً من سهام طقس التعقية. وقد عثرت على السهم منشوراً على أحد مواقع بيع القطع الأثرية.

وهذا ما كتبه الموقع عن رأس السهم:
«رأس سهم كنعاني قديم. 1400 قبل الميلاد»
بالطبع، لا يمكن الوثوق تماماً بالتاريخ المذكور. يجب دراسة القطعة حتى يمكن توقيتها. وعلى كل حال، فأغلب رؤوس السهام والرماح المنقوشة التي عثر عليها بين فلسطين ولبنان تعود إلى فترة ما بين القرنين 11-12 قبل الميلاد. لكن طريقة الكتابة على رأس السهم هذا تختلف عن القطع الأخرى. والنقش عليه مكون من كلمتين اثنتين. العليا منهما مكتوبة عمودياً. أما السفلى فمكتوبة أفقياً. وفوق النقش هناك ثلاث نقاط أظن أنها تمثل ثلاثة نجوم سماوية. أي أنها ذات طابع فلكي- ديني.
الكلمة الأولى مكونة من حرفين اثنين. الحرف الأول هو حرف الزاي، وهو يتكون من خطين متوازيين. أما الثاني، فيتمثل بخط واحد هو حرف النون. بالتالي، لدينا كلمة «زن» التي هي اسم إشارة في أبجديات شمال الجزيرة العربية. وهي دليل على أن النقش ينتمي لغوياً إلى عالم شبه الجزيرة العربية، حتى لو عُثر عليه في منطقة ما من بلاد الشام. لكن علي أن أشير إلى أن الحرف الثاني باهت، وهو ما يجعل وجوده أمراً غير مؤكد. ولو كان غير موجود، فنحن مع اسم الإشارة «ز» من دون النون. وهو بهذه الصيغة لا يخص شمال الجزيرة العربية وحدها.

الكلمة الثانية، مكونة من أربعة أحرف تبدو كما لو أنها كُتبت على خط مرسوم. لكن هذا ليس مؤكداً. فالمنطقة اليسرى من الخط تبدو عرضية. في حين أنّ المنطقة اليمنى تتكون من قاعدتي الحرف الأول والثاني.
تقول الكلمة حسب قراءتي لـ «عقي».
اللام تتجه إلى اليمين. وفي العادة هي تتجه نحو اتجاه الكتابة. الثانية عين مفتوحة. في الغالب حرف العين يكون مقفلاً. لكن أحياناً يكون مفتوحاً. وهو يكون بنقطة في داخله لكي تمثل حدقة العين. النقطة موجودة لكنها صغيرة. لذا لم أرسمها. الحرف الثاني هو القاف. وهو في العادة دائرة أو معين لهما ساق. وفي العادة يخترق الدائرة أو المعين الدائرة، ويظهر قسم منه في الأعلى. لكن أحياناً يظهر القسم الأعلى من دون أن يمر الخط بالدائرة أو المعين. وهنا لا يمر الخط وسط المعين، لكن الخط يظهر كنتوء في الأعلى. بالطبع، القاف مقلوبة تماماً هنا. أي أن ساقها في الأعلى، ورأسها الأسفل. فوق ذلك فقد حُنيت الساق لليمين لكي تتوافق مع حركة العين.
أما الحرف الأخير فهو الألف. وهو حلقة لها ساق. لكن ليس لديها بروز للأعلى مثل القاف. لكن الفراغ في وسط الحلقة طُمس هنا، فبدت رأس الحرف كأنه دائرة مصمتة.
بناء على ذلك، فالكلمة تقرأ «لعقي» كما قلنا أعلاه. والحال، أن كلمة «عقي» يمكن أن تفهم على أنها اسم شخصي. بذا فالنقش يقول: «زن لعقي»، أي «هذا [السهم] لعقي». وحين بحثت عن الاسم «عقي»، لم أجده في المصادر عن الجاهلية. لكنه ورد مرة واحدة في ما بعد الإسلام.
عليه، فأنا أميل إلى أن النقش على علاقة بطقس التعقية. أي أن النقش يقول: «هذا للعقي»، أي هذا سهم لطقس التعقية. وإن صح هذا، نكون قد حصلنا، ولأول مرة، على دليل ملموس يؤكد وجود طقس التعقية الذي تحدثت عنه المصادر العربية. بناء عليه، يجب أن يكون السهم ملكية لجهة ما كانت تشرف على المصالحات عبر طقس التعقية مثل الكهنة أو ما شابه.

* شاعر فلسطيني